المشرق

التعبد لقلب يسوع الاقدس في الشرق

توطئة

صدرت في ٢٥ أيّار الماضي الاوامر المطاعة من مقام سيّد الاحبار وخليفة بطرس هامة الرُّسل ونائب المسيح على الارض يتقدَّم بها الى جميع بطاركة العالم الكاثوليكي واساقفتهِ ورؤساء رهبانيَّاتهِ المتَّحدين مع الكرسيّ الرسولي بوحدة الايمان ان يقيموا في ٩ و ١٠ و ١١ من شهر حزيران أعيادًا يُحتفل بها بغاية ما امكن من الأبَّهة والجلال اكرامًا لقلب يسوع الاقدس. ومن جملة ما ورد في براءة الحبر الاعظم انَّ قداستهُ صمَّم النيَّة بان يكرِّس في هذه الايام العالم كلَّهُ لقلب ابن الله فيكون هذا المشروع الديني الجليل احسن ختام للقرن التاسع عشر وعربونًا يضمن للشعوب السعادة والفلاح في القرن العشرين

ويريد قداسة امام الاحبار ان يشاركهُ في هذا العمل المبرور كلُّ رؤساء الدين بل كلّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيَّة المخلصين علَّهم يستمطرون بذلك من لدن اب المراحم نعمًا سابغة وبركاتٍ فائضة تمكّنهم من سعادة الدارين. ونتأسَّف على تأخُّر ورود البراءة البابويَّة الى اقطارنا ولذلك لم يمكن اقامة الحفلات في وقتها. وقد عيَّن سيادة القاصد الرسولي ثلاثة ايَّام كان نهايتها يوم عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس فيها احتُفلت هذه الاعياد ببهاء ورونق في كنائس المرسلين اليسوعيين ثمَّ العازاريّين ثم الكبُّوشيّين

ولمَّا كانت الكنائس الشرقيَّة قسمًا معتبرًا من حظيرة المسيح لا شكَّ في انَّها لا تتأخَّر عن تلبية دعاء راعي رعاتها المنظور فتقدّم شاهدًا جديدًا على خلوص انتمائها الى السدَّة البطرسيَّة مع ابداء فروض التعبُّد لذلك القلب الذي خفق ثلاثًا وثلاثين سنةً في ديارنا الشرقيَّة وهو يستعر حبًّا بنا نحن البشر ويتفانى في سبيل خلاصنا

وقد احببنا نحن ابناء تلك الرهبانيَّة التي وكل اليها الربّ نشر عبادة قلبهِ الاقدس

ان نعضد مساعي رأسنا وابينا الحبر الاعظم بوضع مقالة في مجلّة المشرق نبيّن فيها بوجيز الكلام ما يختصّ بكُنه هذه العبادة وحقيقتها وغايتها وتاريخها في الشرق ليقف قرّاؤنا الكرام على سموّ مرتبتها وعلوّ شأنها

١ المبادئ اللاهوتيَّة التي تستند اليها عبادة قلب يسوع الاقدس

اننا معشر النصارى نؤمن بموجب تعليم الانجيل الكريم انَّ في المسيح طبيعتين كاملتين غير ممتزجتين احداهما الهيَّة يشبهُ بها جوهريًا اباهُ الالهي الذي منهُ ولد بطريقة الفهم منذ الأزل لأنَّهُ هو الكلمة والكلمة هو الله (يو ١:١) والطبيعة الاخرى انسانيَّة تشبه جبلتنا البشريَّة من حيث خواصّها وكمالاتها واعمالها لان المسيح قد امتُحن في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئة (عب ٤:١٤)

غير انَّهُ ليس لهاتين الطبيعتين قيامٌ منفرد بذاتها تقوم بهِ كلّ منهما بمعزل عن الاخرى كما زعم نسطوريوس بل تقوم كلتاهما في اقنوم واحد هو اقنوم ابن الله الذي تُنسب اليهِ كلّ اعمال الطبيعتين كما تُنسب للانسان اعمال جسده الهيولي واعمال نفسهِ الناطقة المجرَّدة عن الهيولي فيمكن لذلك القول عن المسيح بدون تضادّ انَّهُ الهٌ (رو ٩:٥) وانَّهُ انسان (في ٥:٢ — ٨) انَّهُ ازليّ (يو ١:١) وانهُ محدث في الزمان (يو ١:١٤) انَّهُ واباهُ واحد (يو ١٠:٣٠) وانَّ الاب اكبر منهُ (يو ١٤:٢٨) انَّهُ في الآب (يو ١٠:٣٨) وانهُ خرج من الآب (يو ١٦:٢٨) انَّ فيهِ ارادة غير الارادة الالهيَّة (مت ٢٦:٣٩) الى غير ذلك ممَّا يشير الى فاعل واحد يعمل بطبيعتين مختلفتين يصحُّ في الواحدة ما لا يصحُّ قولهُ في الاخرى. ومن وحدة الاقنوم في المسيح ينتج انَّ ناسوتهُ وكلّ اقسام ناسوتهِ تكتسب شرفًا فائقًا وعزًّا ساميًا لا يحقّ سوى للاله فيسوغ من ثمَّ ان نسجد لهذا الناسوت سجودنا لعزَّتهِ تعالى. ولذلك نقدّم في سرّ القربان الاقدس لجسد المسيح ودمهِ اكرامًا لا نقدمهُ لغير الله عزَّ وجلَّ لانَّ فيهما يحلُّ كما يقول الرسول «كلُّ ملء اللاهوت جسديًا» (كو ٩:٢) فلمَّا كان قلب المسيح قسمًا جليلًا من ناسوتهِ لا غرو اذن ان نسجد لهُ ونكرّمهُ ونتعبَّد لهُ كما نتعبَّد ونسجد لجسد المسيح ودمهِ الالهيين

بل ينتج من هذا المبدأ انَّ كلَّ ما يختصُّ المسيح او لهُ علاقة مع شخصهِ الالهي ينال عظمةً وشأنًا لا مثيل لها. ولذلك نسجد للصليب لأنَّهُ راية انتصار ابن الله على الجحيم وعلامة نجاتنا من الهلاك ونكرّم جميع ادوات الآلام كالحربة التي طعنت جنبهُ

واكليل شوكهِ وثيابهُ التي اقتسمها الجُند ومنها صدرت المعجزات (مت ١٤:٣٦)

٢ اصل العبادة لقلب يسوع الاقدس في الانجيل

فثبت اذن من المبادئ اللاهوتيَّة السابقة انَّ لعبادة قلب يسوع اساساً متيناً في معتقدات النصارى. ولكن ترى ما هي الاسباب التي حملت الكنيسة على ان تقدّم لقلب يسوع الاقدس عبادةً خاصة أفما كان كافياً ان تسجد للمسيح اجمالاً فلا تُفرد هكذا قسماً من شخصهِ في عبادتها والمسيح كما قال الاناء المصطفى (١ كور ١:١٣)« واحد لا يُقسم»

نجيب على هذا الاعتراض انَّ الكنيسة مع اتخاذها طرائق مختلفة تتقرَّب بها الى عروسها السماوي لا تقسم المسيح البتَّة وانَّما تتفنَّن في اكرام شخصهِ الكريم كما يصنع المملوك مع سلطانهِ فانَّهُ تارةً يستلم يدهُ وتارةً يقبّل رجليهِ وحيناً يمسّ طرف ثوبهِ وطوراً يلثم موطئ قدميهِ او يكرّم شيئاً ممَّا يتعلَّقُ بشخصهِ والاكرام كلُّهُ يعود الى الذات الملكيَّة فعلى هذا المنوال عددت الكنيسة طرائق تعبُّدها لشخص المسيح فاقامت اعياداً خصوصيَّة تذكر فيها دمَهُ الكريم وجراحاتهِ الخمس وجسدهُ الطاهر وادوات صلبهِ وموتهِ ودفنهِ لما تجد في كلّ ذلك من الدواعي العديدة لاكرام اقنوم ابن الله. وهكذا تصنع البيعة في تعبُّدها لقلب المخلّص فانَّها لا تعتبر هذا القلب الكريم منفرداً عن الذات الالهية بل متَّحداً مع الناسوت واللاهوت معاً اتحاداً غير منفصم (١

على انَّ الكنيسة لم تكُ لترضى بهذه العبادة لو لم تجد في الانجيل الكريم اسباباً حدتْ بها الى قبولها ونشرها في العالم اجمع. أفلا ترى انَّ المسيح لذكرهِ السجود قد عرض علينا قلبهُ وجعلهُ مثالاً نأتسي بهِ حيث قال: «تعلَّموا مني اني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١:٢٩) وأنهُ سمح لاحد تلامذتهِ ان يتكئ في العشاء السري على صدرهِ (يو٢١:٢٠). وانهُ أذِن للجندي الروماني ان يطعن جنبهُ ليكشف عن مكنون جنانهِ (يو ١٩ : ٣٤) وأنهُ اظهر جرح قلبهِ لتلامذتهِ (يو ٢٠ :٢٨) وتقدَّم الى توما (يو ٢٠ :٢٨) المرتاب في قيامتهِ بان يدخل يدهُ في جنبهِ ويتحقق صحَّة اقوال سيّدهِ (٢

٣ التقليد الكنسي عن التعبُّد لقلب يسوع منذ اوائل النصرانية

فبناءً على هذه النصوص الانجيليَّة اخذ الرسل يحضُّون المؤمنين على محبَّة متَّقدة نحو

---

١) ولذلك لا تسمح الكنيسة بان تُعرض صور قلب يسوع لعبادة المؤمنين اذا صُوّر القلب وحدهُ لئلَّا يظنَّ البعض انَّنا نفصلهُ عن شخص المسيح ٢) وفي جملة الصور الراقية الى اوائل النصرانية التي وُجدت في دياميس رومة ما يمثّل هذه الوقائع الخطيرة خصوصاً طعن جنب المسيح بالحربة

المسيح الذي احبَّنا واسلم نفسهُ دوننا (اف ٥ : ٢ غل ٢ : ٢٠) ويتمنَّون لو هذا المؤمنون وسبروا غور محبة فادي البشر التي تفوق كلَّ معرفة ليمتلئوا بملء الله (اف ٣ : ١٨ و ١٩) ويتشوَّقون اليهم باحشاء المسيح يسوع (في ١ : ٨)

وجعل آباء الكنيسة الاوَّلون وملافنتها القديسون شرقاً وغرباً يوجّهون منذ اوائل النصرانيَّة انظار المؤمنين الى قلب يسوع لاسيما عند كشفهم معاني الآيات السابق ذكرها. منهم (اوريجانس † ٢٥٤م) في كلامهِ عن يوحنا الحبيب حيث يقول: « انَّ هذا الرسول لمَّا سند رأسهُ الى قلب يسوع وجد فيهِ كنوزًا دفينة من الحكمة والعلم نعرف حقَّ المعرفة خفايا الربّ واعلن بها الى العالم » (١

ومنهم القديس (امبروسيوس اسقف ميلان † ٣٩٧ م) في وصفهِ جرح جنب المسيح فقال: « قد طعن الجندي جسد الربّ بعد موتهِ ففاضت الحياة من الميّت وسال للبشر ماء غسل ذنوبهم ودمٌ بُذِل فداهم. فلنشرب ثمن خلاصنا كي نُفدى بشربهِ » (٢

امَّا القديس (يوحنا الذهبيّ الفم † ٤٠٦م) فقد اندفع في الكلام عن جرح جنب المسيح فوصفهُ وصفًا يخلب العقول ويأخذ بمجامع القلب. فمن ذلك قولهُ: « انَّ دم الحمل الذي جُعِل على عتبة الاسرائيليين في مصر كان رمزًا عن دم المسيح ومنهُ اتَّخذ كل قوَّتهِ فدفع عنهم ملاكَ الربّ لمَّا ضرب ابكار مصر. فان قوي الرمز على ردّ ذراع الربّ فما قولنا عن الحقيقة ؟ ولكن انظر مورد هذا الدم الكريم المُحيي ألا وهو جنب المسيح... فلمَّا طعنهُ الجندي خرج منهُ الماء اوَّلًا وهو ماء المعموديَّة الذي يغسل ادران خطايانا ثمَّ خرج الدم وهو الدم السرّي الذي يُروينا. قد فتح الجندي جنبَ الهي وهدم الجدار الذي كان يحجب عني قدس الاقداس وها اني وجدتُ كنزًا ثمينًا واصبتُ غنًى طائلًا... هذا هو جنب آدم الجديد الذي نُزِعت منهُ وقت نومهِ على الصليب حوَّاء الجديدة اي الكنيسة عروسة المسيح ولذلك يحقُّ القول في الكنيسة وفي ابنائها أنَّنا لحمٌ من لحمهِ وعظمٌ من عظامهِ » (٣

ومنهم القديس (اوغسطينوس † ٤٣٠م) حيث يقول: « قد احسن الانجيليُّ بقولهِ انَّ الجنديّ فتح جنبهُ ولم يقل انَّهُ طعنهُ او جرحهُ دلالة على انَّ جنب الرب باب الحياة

١) مجموع اعمال الآباء اليونان لمين (المجلَّد ١٣ ص ٨٧ ٢) شرحهُ على لوقا ك ١٠ ع ١٣٥
٣) راجع اعمال الاباء اليونان ج ٥١ ص ٢٢٩ و ج ٥٩ ص ٤٦٣

تفجّرت منهُ اسرار الكنيسة التي دونها لا يدخل احد الحياة (١. وقال في محل آخر: «قد فُتح لك باب الحياة لمّا طعنت حربةُ الجندي جنب المسيح فاذكر ما سال منهُ واطلب بهِ الطريق الى الخلاص» (٢

وقد تعدّدت بعد هؤلاء الآباء الشهادات على عبادة قلب يسوع في الكنيسة كالقديس (بولينوس دي نولا †٤٣١م) الذي يدعو قلب ابن البشر «منهل الحكمة» والقديس (بطرس داميانس †١٠٧١م) الذي وصفهُ «بخزانة تحوي جميع كنوز النعمة وينبوع الحياة الدائمة». والقديس (أنسلموس†١١٠٩م) المطرى «محبّة قلب يسوع نحو البشر». والقديس (برنردس†١١٥٦م) الذي ينعت قلب يسوع بكلمات تسيل رقّة وحبًّا فيدعوهُ حينًا «مسكن النفوس» وحينًا «مقدس الاقداس» وتارةً «تابوت العهد» واخرى يتمنَّى بان يجعل لهُ مظلّة في هذا القلب يسكن فيها الى الابد ومثلهُ (القديس بوناونتورا † ١٢٧٤م) يشيد في مدح القلب الاقدس ويغبط الحربة التي نفذت في صدرهِ وحظيت بمسّ قلبهِ. والقديس (توما الاكويني شمس المدارس † ١٢٧٤) يشبّه طعنة جنب الربّ «بباب فلك نوح الذي منهُ دخلت الحيوانات الناجية من الطوفان»

فلا غرو بعد هذه الشهادات وغيرها كثيرة ضربنا عنها صفحًا اذ نجد عددًا غفيرًا من القديسين والابرار تعبّدوا لقلب يسوع في توالي الاعصار كالقديس فرنسيس الاسيسي والقديس لورنسيوس يوستنياني والقديس فرنسيس سالس والقديس لويس غنزاغا وكالقديسات جرترودة وكاترينة السيانيّة ومكتيلدة وترازيا كما تشهد تراجم هؤلاء الابرار فانهم جميعًا اضرموا قلوبهم بشعلة من نار قلب المخلّص واستعروا بهِ حبًّا ساقهم الى مباشرة امور عظيمة لاجلهِ والمحبّة كما يقول الكتاب قويّة كالموت (نش ٨:٦)

٤ التعبُّد العمومي لقلب يسوع

وكانت عبادة قلب يسوع مع سموّ شأنها منحصرة في دائرةٍ ضيّقة يمارسها فقط بعض افراد اولياء الله الى اواسط القرن السابع عشر اذ اختار الرب راهبةً من رهبانيّة الزيارة معروفةً بعظم قداستها وسموّ فضائلها فظهر لها مرارًا والحّ عليها إلحاحًا لم يبقَ لها بعدهُ ريب في ارادتهِ تعالى وكان السيّد المسيح لذكرهِ السجود تقدّم اليها بان تشهر

---

١) العظة ١١٣١١ع ٣ ٢) المقالة ١٢٠١١ على انجيل يوحنّا ع ٢. ولترتليان (+٢٤٥) معلّم الكنيسة وللقديس قبريانوس (+٢٥٨) اقوال شبيهة بهذه

هذه العبادة وتنشرها في اربع خوافق العالم ومن جملة ما قالهُ الربُّ عند ظهوره وكشف قلبه للطوباويَّة مرغريتا الاكوك الراهبة المشار اليها في تاريخ سنة ١٦٧٥ في اليوم الاحد الواقع بعد عيد الجسد ما نصُّهُ: « ها هوذا القلب الذي بلغ به حبُّهُ نحو البشر الى ان تفانى في سبيلهم ولم يدَّخر وسيلةً ليظهر لهم خلوص ودادهِ نحوهم. على اني لم اجد لقاء محبتي في قلوب الاكثرين سوى الفتور ونكران الجميل... فلذا اطلب اليكِ ان يخصَّص لي يوم الجمعة الواقع بعد الأيام الثمانية من عيد القربان فيكون عيداً خصوصياً يُكرَّم بهِ قلبي وليُصعد في ذلك النهار القربان الاقدس على الهياكل وتتقرَّب فيهِ النفوس التقيَّة من سرّ محبّتي وتعوِّض بحبها عن الاهانات اللاحقة بي »

ولمَّا اعتذرت تلك الراهبة الوديعة واشارت الى عجزها عن اتمام ارادة الرب اجابها المخلّص قائلاً: « أمَا تعلمين اني اختار الضعفاء من العالم لاخزي الاقوياء لئلاَّ يفتخر ذو جسد امامي (كو ١ : ٢٧) » ثمَّ دلَّها على الوسائط التي بها تُنجز اوامرهُ تعالى وكيف يُقتضى لقلبهِ الالهي ان يملك رغماً عن كلّ اعدائهِ. واوعز اليها ان تختار عبدهُ الاب دي لا كولمبيار اليسوعيّ ليساعدها في هذا الامر الهامّ

فلمَّا بلَّغت الطوباوية اوامر المسيح الى رؤسائها حال دون اتمام مرامها مصاعب لا تُحصى ألاَّ انَّ البشر لا يقوون على مشيئة الله فتعدَّدت المعجزات وظهرت ارادة الله بنوع عجيب ازال كلّ شكٍّ فحصت الكنيسة كلّ ذلك فحصاً مدقّقاً الى ان ثبَّتت هذه العبادة تثبيتاً شرعيًا واجابت الى مُلتمس السيّد المسيح باقامة العيد المذكور

وممَّا حمل الكنيسة على قبول هذه العبادة الشهاداتُ السابق ذكرها المستندة الى الانجيل والى اقاويل الآباء. ثمَّ وجدت في اكرام قلب يسوع الاقدس واسطة عُظمى فعَّالة لتحريك عواطف المؤمنين وإنعاش تقواهم لله بتخليصهم اذ تعرض لاكرامهم قلباً مضطرماً بالحب نحوهم يُعلن حبَّهُ بالنعم السابغة التي يفيضها على البشر. وعلاوةً على ذلك رأت بيعة الله ان هذه العبادة مبنيَّة على طبيعة الانسان ورأي الشعوب جمعاء وكلُّهم يعزون الحبّ الى القلب كما أنَّ لغات الامم دون استثناء تتَّفق على نسبة المحبَّة لهذا العضو الجليل يؤيّد ذلك آيات عديدة من الاسفار المقدَّسة كقولهِ تعالى (تث ٦ : ٥): « أحبب الربَّ الهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك » وقولهِ (رو ٥ : ٥): « قد أُفيضت محبَّة الله في قلوبنا بالروح القدس ». وقولهِ عزَّ وجلَّ (ام ٢٣ : ٢٦): « يا بُنيَّ اعطني قلبك ».

فاستدلّت الكنيسة بكلّ ذلك انّ قلب يسوع افضل رمزٍ لذكر محبّة الله للبشر واقوى عامل يجتذب قلوبنا الى حبّهِ تعالى وابداء شعائرنا البنويّة نحوهُ

وما كاد الاحبار الرومانيّون يثبّتون هذه العبادة بسلطانهم الاسمى في الكنيسة حتى انتشرت عبادة قلب يسوع انتشار النار في يبيس الحطب والكهرباء في اسلاك البرق واليوم اضحت هذه العبادة شاملةً لاقاصي البلاد لا يجهلها احد من النصارى

• انتشار عبادة قلب يسوع الاقدس في الشرق

قد ظهر ممّا سبق انّ آباء الكنائس الشرقيّة القدماء لم يجهلوا عبادة قلب يسوع بل اشادوا بمدحهِ كآباء الكنيسة الغربيّة. ولنا شاهد آخر صادقٌ ودليل ناطق على ذلك في ليتورجيّات جميع الطوائف الشرقيّة. وهذه الرُّتب الجليلة كما لا يخفى ترتقي الى القرون الاولى من النصرانيّة وفي اقوالها براهين لا يقوى على تفنيدها داحض

فانّ هذه الليتورجيّات تذكر باجمعها في القداس فتح جنب المخلص وتُشير الى ما ثمَّ من السرّ العظيم وتطلب بهِ الغفران عن الخطايا ونوال النعم وينبوع الحياة (١. امّا الكنيسة اليونانيّة فانّ لها رتبةً خصوصيّةً امتازت بها عن بقيّة الكنائس وهي رتبة الماء المُحمى (ζέον) الذي يُسكَب في الكأس يراد بهِ الدلالة على محبّة المسيح المفرطة التي اظهرها لمّا أذن للجندي في طعن جنبهِ الالهي لتجري منهُ الاسرار ويفتح لنا بابًا الى احشاء رحمتهِ وقلبهِ الاقدس (١

غير انّ الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة لم ترتضِ بهذه الدلالات العموميّة على عبادة قلب يسوع بل ارادت ان تجاري في هذا الميدان الشريف كنائس الغرب

واوّل من تسابق بينها في اكرام قلب يسوع الكنيسة المارونيّة نجد لعبادتها آثارًا منذ اواخر القرن السابع عشر وكان ابتداء هذه العبادة في حلب بهمّة الآباء اليسوعيين وكانوا انشأوا هناك اخويّة باسم هذا القلب الطاهر في كنيسة النبي الياس للموارنة اشترك فيها جمٌّ غفير من اهل الشهباء. وقد اشتهر من اعضائها الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات ولهُ في مديح القلب الالهي قصيدة جليلة المعاني عامرة الابيات نظمها على طريقة ابن الفارض تجدها في ديوانهِ. مطلعها :

---

١) راجع خصوصًا ليتورجية السريان والموارنة والاقباط في ليتورجية القديس كيرلّس

٢) راجع كتاب كلندار الكنيستين للاب نيلس Ἑορτολόγιον, II, 480

يا قلبُ طِرْ من وُكنةِ الاحشاء — نحو الحبيبِ الفاخرِ الازياء

وفيها يقول :

يا قلبَ ربّي انتَ غايةُ مأربي — يا ربُّ قلبي انت كنزُ غنائي
يا لُجّةَ الجود الالهيِّ الذي — اغنى الورى بسوابغ الآلاء
تصبو اليك عقولنا وقلوبنا — ويلذُّ منها فيك كلُّ ثناء
فهي الحديدُ وانت مغناطيسها — بل انت شمسٌ وهي كالحرباء
اذ كنتَ انت جمالها وكمالها — ونعيمها النافي لكلِّ شقاء
مرآة شخص الاب صورةُ مجدهِ — ومقرُّ روحِ القُدسِ ذي الآلاء
سعدي ومجدي أن أحبك يا مُنى — قلبي واهوى في هواك فنائي
بل كيف لا اصلى بحبّك هائماً — وأراك في حبّي أتونَ صِلاء
فليسجدنَّ لديك يا ربَّ الورى — ما في الثراء وفوق كلِّ سماء

وامتدَّت هذه العبادة من حلب الى جهات الشام وكان في دمشق هيكل على اسم القلب الاقدس يتوارد اليهِ الزوّار. وفي غسطا الى اليوم صورة قلبَي يسوع ومريم في كنيسة مار يوسف المشيَّدة على نفقة الملك لويس الخامس عشر يرتقي عهدها الى زمان البطريرك يوسف اسطفان. وقد دخل مذ ذاك عيد قلب يسوع في الكنيسة المارونيَّة فتجد في كتبها الطقسيَّة رتبةً فيها قراءات وصلوات على اسم قلب يسوع. وانشأ مؤخَّراً المعلم الفاضل منصور حكيم فرضاً موسَّعاً وقدَّمهُ لرؤساء كنيستهِ فاثنى عليهِ بعض الاساقفة لمعانيهِ التقويَّة ولهُ الأمل ان يُثبَّت عمّا قليل فيُعمَّم في كل كنائس الطائفة

وفي الكنائس السريانيَّة والكلدانيَّة والارمنيَّة انتشرت عبادة قلب يسوع ايَّ انتشار حتَّى صار عيدهُ عندها من الأيام الحافلة كما ترى في بغداد والموصل وماردين وديار بكر. ولكل هذه الكنائس فروضٌ جديدة وصلوات وزيّاحات يُكرَّم بها القلب الاقدس نخصُّ منها بالذكر الرتبة الجميلة التي ألَّفها فقيد المشرق الحبر الجليل يوسف داود مطران دمشق على السريان وقد طُبعت في الجزء السادس من القنقيط بالموصل (ص ٣٨٣ — ٣٩٧) وقد اودعها من المعاني الشريفة والاقوال البارعة التي تنبئ بسموّ فضل كاتبها

ودخل ايضاً عيد القلب الاقدس في جملة اعياد الكنائس اليونانيَّة في بعض الانحاء كايطالية وترنسلفانية ورومانية. ورأينا صورهُ الكريمة في بلادنا في عدَّة كنائس للروم

الملكيين الكاثوليك بل في بعض كنائس الارثدكس ايضاً منها كنيسة مار الياس شويًا. وقد وضع الاب نيلس اليسوعي فرضاً يونانياً مطوّلًا جمعهُ من اقاويل آباء الكنيسة اليونانيّة لعيد قلب يسوع فاثنى بعض اساقفة الروثان والمجر وغيرهم على هذا المشروع وجعلوا يتلونهُ في كنائسهم

وقد قرأنا بكلّ مسرّة ما ورد في السنة الماضية عن الاقباط الكاثوليك انَّ اوَّل ما صنعهُ اساقفتهم الاجلاء عند افتتاح مجمعهم الاوَّل ان كرَّسوا نفوسهم ورعاياهم لقلب يسوع الاقدس

وهنا لا يسعنا السكوت عمّا بذلهُ من الهمّة كلُّ المرسلين اللاتين من الفرنسيسكان والدومينيكان والكرمليتان والمازاريين واليسوعيين وغيرهم في جميع اصقاع المشرق ليضرموا بلادنا بمحبة ابن الله ومحبّة قلبهِ الطاهر يشهد على ذلك ما ألّفوهُ او طبعوهُ من الكتب العديدة وما انشأوهُ من الاخويّات التقويّة وألقوه من المواعظ والارشادات جازاهم الله جميعاً كلَّ خير

ونختم مقالتنا هذه بما كتبهُ حبر الاحبار البابا بيوس التاسع المخلّد الذكر في منشورهِ الى الشرقيين بتاريخ ٨ ك ١ سنة ١٨٦٤: «ونحضُّ المؤمنين الشرقيين ان يلوذوا في كلّ حاجاتهم بالربّ السيد المسيح الذي فدانا بدمهِ ويتعبّدوا التعبُّد الصادق لقلبهِ المملوء عذوبةً وحلاوةً ويطلبوا من هذا القلب الذي ضحّى نفسهُ لاجلنا كذبيحة الحبّ ومحرقة الوداد كي يجذب قلوب البشر اليهِ ويقيّدها بمحبّتهِ فتنال كلُّها من ديم فضلهِ الطافح وتشر اثار النعمة والخلاص»

وقد ألحق الحبر الاعظم براءتهُ بتكريس يُتلى في العالم كلهِ لاكرام القلب الاقدس هذه صورتهُ:

يا يسوع المملوء عذوبةً وحلاوة يا فادي الجنس البشري انظر الينا نحن المنطرحين امام مذبحك بكلّ تواضع. انّنا ذووك ونريد ان نكون خاصّتك فلكي نستطيع ان نتّحد بك برباط اوثق ها انّنا اليوم نخصّص نفوسنا اجمالًا وافراداً لقلبك الاقدس. انَّ كثيرين من البشر لم يعرفوا قطّ عزّك الالهي وقد جحد غيرهم خدمتك ونبذوا وصاياك. فنسألك يا يسوع الكلي الحنوّ ان تعطف على هؤلاء جميعاً برحمتك وتجتذبهم الى قلبك. املك ايها الربّ الاله ليس فقط على لفيف المؤمنين الذين داوموا على خدمتك بثبات بل ايضاً على الذين اعرضوا عنك كالابن الشاطر وتناءوا عن عبادتك فامنح هؤلاء الضالّين ان يعودوا الى بيت ابيهم لئلّا يتلفوا بؤساً ويهلكوا جوعاً. واملك اللهمّ على الذين انقادوا الى الآراء الفاسدة او انفصلوا بالشقاق فاهدِهم الى سبيل الحق

ووحدة الايمان لكي تكون عمّا قليل حظيرة واحدة وراعٍ واحد . واملك اخيراً على جميع الامم الذين يدينون بدين الاوثان ولا تأبَ ان تقودهم من ظلمة الشرك الى نور الله وملكوتهِ فأنعم ايها السيد على كنيستك بالسلام والحرّيّة التامّة وامنح كلّ الامم والشعوب عيشةً آمنة في الأُلفة والنظام . وهبْ ألّا يُسمع من اقاصي الارض الى اقاصيها سوى صوت واحد : ليمجّد القلب الالهيّ الذي بهِ فزنا بالخلاص لهُ العزّ والاكرام الى ابد الابدين آمين

مكتبة دير صيدنايا

للشاب الاديب حبيب افندي زيّات

صيدنايا قرية من اعمال دمشق تبعد عنها نحو خمس ساعات يقطنها قوم من النصارى الروم من الطائفتين. وقد كانت قديمًا ذات شأن خطيرٍ كما تدلّ على ذلك الآثار الباقية فيها والاطلال القائمة على مقربة منها حتى عدَّ فيها بعض الرحّالة في القرن السابع عشر ست عشرة كنيسة ذكرها باسمائها بقي منها الى اليوم ثمانٍ فقط نصفها للارثوذكس ونصفها الآخر للروم الكاثوليك

ورأيتُ في تاريخ مخطوط للشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الانطاكي رسالتين عرّب احداهما عن الرومية وشرح فيها ترتيب كراسي اسقفيات البطريركيَّة الانطاكيّة وعدّدها باسمائها ووصف مقامات رؤساء اساقفتها والذين تحت ايديهم ونسبتهم الى البطريرك . وممّا ذُكر في النسخة العربيّة انّ ترتيب الكراسيّ المذكورة وُضع على عهد انسطاسيوس الاقدس القديم بطريرك انطاكية سنة ثمانية وخمس للميلاد. وفي النسخة الروميّة عُدّت صيدنايا في جملة اسقفيات ابرشية فينيقية لبنان وسُمّيت داناڤا ولا ادري ما صحّة هذا اللفظ (١. واماً في النسخة العربيّة فقد جُعل

١) قد ذكر لوكيان (Lequien) في كتاب الشرق المسيحي مدينة داننا (Danaba) في الجزء الثاني ص ٨٤٧ وذكر لها اسقفين امضى احدهما وهو تاودورس قوانين المجمع الخلقيدوني وحضر الثاني سنة ٥٥٣ المجمع القسطنطيني الثاني ودعا صاحب الجغرافية المقدّسة (C. a S. Paulo : Geographia Sacra) صيدنايا باسم Castrum Danabenum وذكر لها اسقفًا باسم كوخينا (Cochena). وللاب بطرس مرتينوس اليسوعي مقالة مسهبة في صيدنايا وتاريخها مع ذكر صورة السيدة العجائبيَّة التي فيها اختصرها البشير في عددهِ ١١٨٧ (٢٤ تموز ١٨٩٥) (المشرق)

كرسي الاسقفيَّة في دينة اوَّلًا قيل وهي سابع كراسي مطرنية دمشق ثم نُقل اليها فيا بعد. وعلى كلتا الروايتين تكون صيدنايا اسقفيَّة بنفسها نظرًا لما كان لها من الاهميَّة في ذلك العهد. ولم تزل كذلك الى القرن الماضي وآخر من وجدتهُ من اساقفتها اكليمنضوس الحلبي الذي توفي سنة ١٧٣٢ وامَّا عند الروم الارثوذكس فقد ضُمَّت اسقفيَّة صيدنايا الى اسقفيَّة زحلة واصبح اليوم الكرسي واحدًا

وأجلُّ الآثار الباقية الى اليوم في صيدنايا ديرها المشهور المعروف بدير الشاغورة نسبةً الى ايقونة لهُ تمثّل العذراء. رأيت في كتاب كتبهُ في ٢٧ صفر سنة ١٢٣٤ الروم الكاثوليك في دمشق الى الخوري سابا الكاتب ان اسمها كان الشاهورة بالهاء وهذا نصّ ما قيل فيه: «وامَّا عمار الأوَد ورمة الدير. . . فجناب ملَّا افندي تملَّل بخصوص التجديد الواقع في حجرة الشاهورة ». وهذا الدير قديم جدًّا قيل انهُ بُني بامر الملك يوستينيانس في اوائل القرن السادس للميلاد. وهو اليوم خاص بالروم الارثوذكس

وكنتُ اوَّل ما عرفتُ هذا القِدَم من حالهِ قد سبق الى ظنّي ان تكون في خزائنهِ بعض كتب خطّيَّة قد حُفظت فيها منذ عهدٍ بعيد كما يُرى في سائر الاديرة القديمة. فبينما انا اطالع في التاريخ السابق الذكر الذي لابن البطريرك مكاريوس الانطاكي اذ رأيتهُ يقول في معرض كلامهِ عن كتاب التيكون الصغير للقديس نيكن ما نصُّهُ بالحرف: « اعلم يا اخي ان هذا الكتاب وجدتهُ في دير ستنا السيدة بمعمورة صيدنايا قديم جدًّا فجبتهُ معي الى حلب وأحييتهُ لاني كتبتُ عليهِ نسختين جدد ولم اجد ولا سمعت ان لهُ في بلاد العربيَّة نسخة ثانية »

وقد كان صاحب هذا التاريخ لمَّا ارتقى والدهُ السيد مكاريوس السدَّة البطريركيَّة في منتصف القرن السابع عشر وقبل ذلك قد طاف معهُ ابرشيَّة الواسعة وزار الاديرة ديرًا ديرًا ونقَّب في مكاتبها فوجد في دير صيدنايا منها كما يؤخذ من كلامهِ السابق كتبًا نادرة المثال ليس فقط في الدينيَّات ولكن في التاريخيَّات ايضًا لانهُ ذكر فيا بعد حاشية قال فيها: « اعلم يا اخي اني وجدت في دير صيدنايا المعمور في كتاب قديم فيهِ هذه الاخبار التي اذكرها الآن » ونقل على الاثر طرفًا من اخبار الصليبيين وحروبهم من كتاب مخطوط لم يذكر مؤلّفهُ

فلمَّا قرأتُ هذه الحاشية صحَّ عندي ما قدَّرتهُ من وجود مكتبة في الدير المذكور

وسألتُ عنها بعض الاخوان فقال لي: لا اظنّ ان يكون قد بقي منها بقيّة صالحة لان معظمها قد أُحرق وما لم تلتهمهُ النار اجتاحتهُ الايدي بحيث لا تكاد تجد فيها اليوم ما يُعبأ بهِ. وذكر لإحراقها سبباً لم اصدقهُ لاول وهلة حتى اثبتهُ لي بعض ابناء الطائفة فتولاني منهُ عجب شديد ومنذ ذاك الحين عقدتُ النيّة على الرحلة بنفسي الى الدير المشار اليهِ لأتحقق صحّة ما وُصف لي واسمع باذني من فم بعض الشهود اذا وُجدوا ثمَّ خبر الحادثة كما تمّت لذلك العهد

وبتُّ اتوقّع فرصة تسنح من الوقت حتى تهيّأت لي رفقة خرجت منذ شهرين تبتغي النُزهة في مثل هذا الربيع الاغرّ فسرنا في رياض راق سماؤها ورقَّ ماؤها تنثر فيها علينا يد الاشجار عقود الازهار حتى بلغنا الدير. فلمَّا حللنا فناءهُ تلقَّانا حضرة الوكيل فيهِ على الرُحب والسعة وذكرتُ لهُ الغاية التي قدمتُ لاجلها فوعدني ان يُريني ما بقي من المكتبة في صباح الغد. ثم غاب قليلًا وحضر فدعاني الى غرفة رئيسة الدير «الحاجّة سعدى هلال» فدخلتُ اليها وهي طريح الفراش وبعد ان استقرَّ بي الجلوس سألتها عن المكتبة وإحراقها فقالت: نعم اذكر ذلك كأني اشاهدهُ الساعة وان يكن قد مضى عليهِ ما ينيف على خمسين سنة. وكنت يومئذٍ فتاة صغيرة عند جدَّتي في زمن رئاسة «الحاجّة كاترينا مبيّض» ووكالة والد الخوري ميخائيل كلك والشخاشيري وجبران الميداني وكانت المكتبة في ذلك العهد حافلةً بالمخطوطات النادرة ولاسيَّما السريانيَّة منها فانها كانت وافرة جدًّا حتى خشي الوكلاء من كثرتها ان تكون حجَّةً بيد السريان يتقوَّون بها على اثبات حقوقهم على الدير (كذا) فأجمع رأيهم على إخراجها وإتلافها تخلُّصاً من شرّها فجمعوها ومعظمها من نفائس الكتب المخطوطة على رقّ الغزال وبدأوا يحرقونها تحت القناطر (واشارت الى مكانها). ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير لتكون وقودًا لهُ وخبزوا عليها خبزتين»

فكدتُ اتميَّز حنقًا ممَّا سمعتُ واطرقت واجمًا لا انبس بكلمة. فلمَّا رأتني كذلك تنفَّست الصعداء وقالت: لا تنقضي حسرتي على تلك المخطوطات التي لو كانت قد بيعت في حينها لحصل منها للدير اموال هو اليها في احتياج ولكن ما نصنع بالجهل اذا كان صاحبهُ يجد عذرًا لنفسهِ في اقتراف ما يسوّلهُ من ضروب الفظائع والمنكرات

نعم انها الحاجّة الرقيقة الفؤاد انَّ في إحراق مكتبتَي الاسكندريَّة وفارس لعذرًا

للذين تولوهُ وهم لم يقدموا على إعدامها ألّا لاعتقادهم ان في تلك الصفحات ضلالًا. وامّا هؤلاء الوكلاء الاغبياء فايُّ عذرٍ تجدين لهم وقد احرقوا تلك المخطوطات عمدًا وتعصُّبًا دون ان يأمرهم باحراقها الانجيل. او ينهيهم عن مضمونها الوحي والتنزيل. فلا تطلبي لهم عذرًا في ما ليس لهم فيهِ عذر ولكن قولي معي جهرًا كما قلتُ لي في السرّ: يا ليت شلّت تلك الايدي قبل إعدامها مثل هذه الجواهر الكريمة فان من الاسفار ما تُبذل في صيانتهِ الاجساد بل من الآثار ما يقلُّ في فدائهِ دم الأكباد

وممّا يزيد في هول هذا الخطب ان النار ظلّت تشتعل اربعة ايام في تلك المخطوطات خلا ما أُحرق منها تحت القناطر كما يؤخذ من قول الوكيل حين اقبلنا في الغد نطوف غرف الدير. فلمّا انتهينا الى القرن اراني موضعهُ وأخبرني في معرض كلامهِ عن نفقات المطبخ ان الخبزة عندهم تبتدئ مساء الخميس ولا تنتهي الّا يوم السبت ففهمت عند ذلك معنى قول الخابيّة لي: « خبزوا عليها خبزتين »

ثم دخلنا المكتبة فجعلتُ اقلّب ما بقي من الكتب فيها فوجدت بعضها في اليونانيّة في مجلدات قليلة وسائرها في العربيّة لا يكاد يُرى فيها غير نُسخ الانجيل وتراجم القديسين وبعض الميامر بين مخطوط ومطبوع. وبينا انا انظر في اسماء الكتب اليونانيّة عثرتُ على كتاب مخطوط في السريانيّة قرأتُ في آخره انهُ من وقف القس يوحنا ضوميط من قرية الكفور من جبل لبنان. فعجبت لهذا الاثر الباقي كيف غفل عنهُ حضرات الوكلاء، ولم يخشوا من بقائهِ على ذهاب الدير. ثم التفتُ يسرة فرأيتُ ثلاثة وصولات بثلاثة كتب قد استعيرت من المكتبة منذ سنة ١٨٨٦ فاستغربت هذه العناية في ضبط الكتب والحرص عليها من الضياع ونظرتُ في الامضاء لاقرأ اسم المستعير فرأيتُ توقيعًا خُيّل لي لاول وهلة انهُ ختم فتفرّست فيهِ لاستوضح حروفهُ فاذا هو . . . أثر إصبع فعلمت اذ ذاك كيف انتُهب ما بقي من المكتبة بعد ما أُعدم منها في الحريق

وممّا يشهد بذلك ايضًا اننا لمّا دخلنا معبد الشاغورة دنوت لاتفرّس في الايقونة فلم ارَ في مكانها الّا شبه صندوق من فضة قيل لي انها من ورائهِ فسألت الوكيل هل يعرف لها تاريخًا يُوثق بهِ فقال: بلى عندنا ههنا كتاب رُويت فيهِ قصّتها بالتفصيل واشار الى راهبة بجانبهِ ان تأتيني بهِ ففعلت فتصفّحتهُ قليلًا فاذا هو مجموع اخبار ذُكرت في

آخرها قصة الايقونة والراهب الذي ابتاعها من اورشليم. فتطلّبتُ عنوان الكتاب لاعلم مَن مؤلفهُ وتاريخ تأليفه فلم ارَ لهُ مقدمة يمكن ان يُستفاد منها شيء. فنظرتُ في خاتمته فاذا هو من نسخ « الحاجّة تقلا غزال». فقلتُ للراهبة التي اتتني به: أليس عندكم الاصل الذي أُخذت عنهُ هذه النسخة. فقالت: هذه النسخة هي طبق الاصل تماماً. فقلت لها: ولكن للاصل قيمة ليست لهذه النسخة ولو اتيتني بها لاستدللت من النظر في بعض حواشيها او من مطالعة الكتابة الملحقة بذيلها على زمن تأليفها او اسم مؤلفها ومكانه لان معرفة هذه الامور ضروريَّة لتقويم الكتاب وتعيين القدر الذي يمكن ان يُركن اليه في قبول روايته. ولو تاقشكم غداً غريب في صحّة تاريخ هذه الايقونة وقدمها فبمَ تحتجُّون أبشهادة هذه النسخة الحديثة ولا شيء يثبت لهُ سلامتها من التحريف والتصحيف لاسيما مع خلوّها من ذكر المؤلف وزمن التأليف. فقالت: ان الاصل ليس عندنا ولكن اخذهُ بعض الزوار . . . فخرجتُ عند ذلك وفي قلبي من الحسرة على ذهاب تلك الاسفار اضعاف ما أُشعل فيها من النار

شهيد العلم

بقلم محمَّد ابي عزّ الدين كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافية في جبل لبنان (تابع لما سبق)

ثم قام الدكتور مولّر عن كرسيهِ مرتجفاً بما اعتراه من وهن القوى وتقدم الى المرآة المعلَّقة على الحائط ونظر فيها فاذا وجههُ اصفر وهيئتهُ تدلُّ على سوء حالهِ وحينئذٍ نطق بهذه الكلمات: « يا والدي ووالدتي الحقّ اقول ان صحتي ولدكما ليست على ما يرام ». ثم تناول مقياس الحرارة الكلينيكي وقاس درجة حرارته فاذا هي ٣٧،٥ بمقياس سنتيكراد فسكن عندئذٍ روعهُ وقال: « توهمتُ اني مصاب بالطاعون ولا حمَّى في جسمي »

ثم اضطجع في سريرهِ ونام نوماً لم يذق فيه طعم الراحة ولمَّا استيقظ في النهار التالي وجد صحّتهُ اسوأ مما كانت في الليلة السابقة واصابهُ صرع هو في الشدة غاية واذ نهض من سريرهِ تمايل كالشارب الثمل وزاد عدد نبضاته وارتفعت درجة حرارته حتى بلغت ٣٨،١ فشرع وقتئذٍ يتحرَّى ما المَّ بهِ متأنياً مستبصراً كأنهُ يفحص جماداً بالمجهر « المكرسكوب » وبعد التحرّي استنتج انهُ مصاب بالطاعون ومع ان بعض أعراضهِ لم

تكن ظاهرة فيه بعد ولا يمكن بدون ظهورها الجزم به فقد ترجح عنده انهُ ذاك المرض المشؤوم او القضاء المحتوم وبعد ما اتمَّ التشخيص لبس ثوبهُ وهو على ما علمتَ من ضعفهِ وبحكم ارادته انطلق الى غرفة «بيخا» ووصل اليها بعد العناء واخذ المطعون يعالج المطعونة . فوصف لها علاجاً يقوّي حركة قلبها ومكث عندها ساعة يهتمّ بها غير ملتفتٍ ولو لحظة الى ما هو عليه . ثم ما لبث ان خانتهُ قواهُ وانهكهُ المرض ففارقها مكرهاً وبالرغم عن غيرتهِ وتفانيه في المداومة على وفاء واجبٍ كان يسرّهُ وفاؤهُ سروراً لا مزيد عليه

ولمَّا انتهى الى غرفتهِ اهتمَّ اولاً بكتابة تقرير يقدّمهُ لمدير المستشفى واصفاً به حالة الفتاة المذكورة وعاد بعدئذٍ الى فحص ذاته فانجلى لهُ كطبيبٍ وعالمٍ حقائق بها حقَّق انهُ مصاب بالطاعون وانهُ اشفى على الموت ومع جلاء هذه الحقيقة لم يرهب الردى ولم يبالِ بانصرام الاجل بل تناول ورقة وكتب عليها ما يأتي:

«بما اني مصاب بالتهاب الرئة الطاعونيَّة ارجو الَّا ترسلوا اليَّ طبيباً لاني في مطلق الاحوال ملاقٍ حتفي بعد اربعة او خمسة ايام»

ولصق هذه الورقة على زجاج الشباك وليتصوَّر القارئ مقدار الجزع الذي عرا طبيب المستشفى اذ قرأ على حين غرَّة ذلك الحكم حكم الموت الذي حكم به الدكتور مولر على ذاته

وحالما فرغ الدكتور مولر من تشخيصه الآنف ذكرهُ حسب نفسهُ موضوعاً للدرس وواظب بتمام التأني والرصانة وبكمال التدقيق العلمي على درس هذا المرض وكيفية ابتدائه وماهيَّة سيرهِ واستدراجهِ مستغنياً بخبرة وافية اكتسبها في بمباي وبقي الى آخر ساعة من حياته صارفاً افكاره الى ترقية العلم مستزرناً حالتهُ في كل ربع ساعة فاحصاً مدققاً مدوّناً ملاحظات اختباره بجسمه معيّناً الموضع الذي احسّ بالالم فيه اولاً مداوماً قياس الحرارة وعدّ التنفُّس والنبضات مبيّناً كيفيَّة سير الحمى وبالجملة قد كتب بعبارة موجزة مفيدة كلَّ ملاحظة ارتأى ان لا بدَّ منها لمعرفة هذا المرض وشرح في خلالها حادثة باريش المذكور من بدايتها حتى نهايتها

وكان يكتب نتيجة اختباره العلمي بجسمه على اوراق صغيرة يلصقها على الشباك ولم ينفك عن ذلك الَّا بعد ان وهنت قوَّته وعجز عن الكتابة . وهذا تفانٍ ما سُمع

شبيهُ وما روى مثيلهُ الرواة وما ابتدع نظيرهُ القصّاصون

ثم اشتدت عليهِ وطأة المرض حتى اضطرَّ الى ملازمة الفراش وقويت عليهِ الحمى حتى لم يستطع تدوين ملاحظاتهِ فالتمس بعدئذٍ من الراهبة القائمة على خدمتهِ ان تكتب ما لقَّنها اياهُ بلسان متلجلج من التأمُّلات والدقائق العلميَّة متوخياً بذلك خدمة غيرهِ من الاطباء الذين يُعنَون بعدهُ بدرس هذا المرض ولم تفتر همَّتهُ ولا التمس الراحة قطّ بل انتهز كل فرصة لتدوين ملاحظاتهِ. وكان اذا نابتهُ نوبة حالت دون مرامهِ ترقَّب زوالها وعاد بعدهُ الى اثبات ما رآهُ واختبرهُ وما انفكَّ عن ذلك حتى النزاع الاخير ولم يرهب الموت بل لاقاهُ غير جازع منهُ

امَّا عن رقة عواطفهِ وحبهِ الغير واهتمامه بعمل الخير فحدّث ولا حرج ومن الدلائل الساطعة على خلالهِ الطيّبة أنهُ الحَّ اشدَّ الالحاح على الدكتور بوخ (Dr. Rudolph Poech) بالامتناع عن دخول غرفتهِ. والدكتور بوخ هذا طبيب في مقتبل عمرهِ وهو احد اعضاء البعثة النمسويَّة المقدم ذكرها وخاطبهُ بهذا الصدد قائلاً: «لا ارى في ذلك مصلحة ما ولا رجاء بالشفاء ولهـذا لا ارضى ان تعرّض نفسك للخطر من اجلي»

ومنها انهُ كان عند السعال يدور ملتفتاً الى الحائط متحولاً عن الراهبة الممرّضة ثم يسعل ويتفّ في خرقة صوف وقطن مبلولة بالكربول ويلفّها بخرقة اخرى ناشفة قبل ان يناولها اياها لتحرقها

ومما يدل ايضاً على كرم محتدهِ قولهُ للدكتور بوخ: «ان جراثيم الطاعون لا تتلاشى ولا تضمحل الّا بالنار واری ان تحرقوا جثتي حذراً من ان تكون سبباً لتفشي هـذا المرض المخيف». ولم يقتصر على هـذا الخطاب الشفاهي بل استكتب ممرّضتهُ كتاب وداع بعث به الى والديهِ وفيه صرّح لهما برأيهِ هذا. وهذه الممرّضة قرأت مكتوبهُ والشباك مغلق على مسمع من راهبة اخرى كانت واقفة في صحن الدار وتلك كتبته وهو آخر مكاتيبه ومنهُ يتّضح صفاء ذهنهِ وكمال تأهبهِ للآخرة وبهِ يُعرف ثبات جنانهِ عند حلول اجلهِ. وهذا نص كتابهِ المرويّ عنهُ:

فينة في ٢١ تشرين الاول سنة ١٨٩٨

سيديَّ الوالدين العزيزين

«لا ريب في اني مصاب بالطاعون واؤكد ان الموت واقع لا محالة بعد ساعات قليلة . وقد رأيت اول واجب عليّ يا والديّ العزيزين ان استودعكما اذ لم يبق لي رجاء لمشاهدتكما في هذه الدنيا راجياً ان تصفحا عني بما سببتهُ لكما من الاكدار وان تبقى وصيتي التي كتبتها قبل سفري الى بمباي جارية على حكمها

وحذراً من ان يتعرض احد للخطر بسببي ارجو ان تُحرَق جثتي على عرمة حطب ويجمع رمادها وبعد تطهيرهِ يدفن بجانب مدفن جدّتي لامي . واختم كتابي باثم ايديكما

ولدكما المحب هرمان

ويلي هذا الكتاب حاشيةٌ بيّن فيها اشياء خاصة بهِ معلناً محلّ وجودها وكيفيَّة التصرُّف الواجب بها

ولمَّا اكمل تلقين كتابهِ هذا على الراهبة اوصاها بان تبقي الصورة الاصليَّة في الغرفة وحرَّصها كلَّ التحريص بان لا تتسامح باخراجها منها باي سبب كان على وجه الاطلاق . ومما قالهُ لها انهُ يفضل ان لا ترسل كلمات الوداع هذه الى والديهِ على ان ترسل اليهما وتكون ذريعة لنقل العدوى الى غيرهِ الى ان قال: «ولو علمتُ قبل موتي ان العدوى سرت مني الى احد لما فاضت روحي بسلام »

ثم رسم للراهبة الطريقة التي ينبغي ان ترسل بها تلك الرسالة فوعدتهُ باتباع ما رسمهُ من هذا القبيل فشكر لها شكراً جزيلاً

وكان على الدوام يستطلع احوال « ألبين بيخا » ويسأل الدكتور بوخ عمَّا اذا كان احد أُصيب بالطاعون في ڤينة وبوخ كان يجاوبهُ نافياً وجود اثر الوباء في العاصمة فيبتهج بهذا الجواب ويطرب . ولم يكن ليكتم اعراض مرضهِ عن الدكتور بوخ بل كان يوضحها تاماً مع بيان ما يحسّ بهِ متأنياً في البيان . وكانا اذا اجتمعا كأنهما طبيبان يتشاوران ويتحاوران بمحادثة مفيدة ذات شأن تتعلق بشخص ثالث ولم يسمع من مورگر ادنى شكوى في مدة مرضهِ

اخيرًا اشتدَّ مرضهُ واستعجل سيره وارتفعت درجة الحمّى بوقت قصير وامست حالتهُ اشد خطراً من حالة الممرّضة « بيخا » وبعد مضي بضع ساعات على اضجاعهِ في سريره بلغت الحمى ٤٠°٦ بمقياس سنتيغراد ثم سعل وخرج مع سعالهِ كميَّة وافرة من الدم

وبعد هذا طلب الدكتور موكر ان يتزوَّد الاسرار الاخيرة فجاء قسيس المستشفى ووقف مقابل شباك غرفته على مسافة اذ لم يؤذن لهُ بدخولها واتمَّ من ثمَّ الواجبات الدينيَّة لذاك المحتضر بمشهدٍ كان عنوان الخشوع. ولمَّا وصل القسيس قعد المريض في سريره وصلَّى ثم قال بصوتٍ عالٍ سمعوه خارجاً: « اتوب نادماً على كل خطاياي ». وجثت الراهبة ممرّضته على ركبتيها بجانب سريره وصلّت لاجلهِ صلاة حارَّة. ثم ان القسيس حلَّ الدكتور موكر ولفَّ القربان بتديل غُطي الكأس به وفتحت الشباك واخذتهُ وقدَّمته للمريض فتناولهُ ووضعهُ في فمهِ بكمال الخشوع والتوقير ثم فاضت روحهُ. وكانت مدَّة مرضه يومين فقط

وبعد ما تحقق الدكتور بوخ ان صديقهُ الصدوق ورفيقهُ الباسل مات رأى من واجباتهِ ان يتولَّى تكفينهُ كما تولَّى المتوفَّى تكفين باريش الذي التقط العدوى منهُ على الارجح. وقد باشر الدكتور بوخ بمعاونة الراهبتين تكفينهُ متحوطين قدر استطاعتهم

وفي صباح اليوم التالي قبل بزوغ الشمس خرجوا من مستشفى فرنسيس يوسف برُفات موكر موضوعة في نعش بسيط وساروا بها الى المقبرة الكبرى في ڤينة ودفنوها في الزاوية القصوى بالمقبرة الوسطى ولم يحضر دفنهُ سوى اخوتهِ وبعض خلَّانه الذين ابتنوا بيتات الدفن. ولمَّا وصلوا بالنعش الى المدفن دفنوهُ فيهِ ولم يؤذن لاحد بالدنو من قبرهِ حتى ان الكاهن الذي صلَّى على الجثة اوجبوا عليهِ ان يكون على بُعد عشرين خطوة منها. ومع هذه الظروف الخارقة العادة تمَّت صلاة الدفن محفوفة بالوقار والخشوع وكانت بعض الفاظها الشجيَّة تثير اشجان اقاربهِ وخلَّانه فتتصاعد زفراتهم وتتوالى حسراتهم

اخيرًا انتصب الاستاذ الدكتور ڤون فرانكل وأبَّنهُ تأبينًا مستجادًا ختمهُ بهذه الكلمات: « انَّك وان قصرت مدَّة عملك فحياتك كانت كاملة وهي عبارة عن نشيد نتغنَّى فيهِ بسجيَّتين من اسمى السجايا ألا وهما امانتك في اتمام الواجبات وشجاعتك الادبيَّة ولم تكن حياتك لتنقضي بالباطل ما دام اسمك قد كُتب مع اسماء شهداء العلم »

وقد عمَّ بموتهِ الاسف سكَّان ڤينَّة واشتركوا بالحداد على هذا الطبيب الشاب الباسل وعند ما اقترحوا إقامة تمثال لهُ يُنصب مع تماثيل غيرهِ من العظماء في باحة

الكليَّة الطبيَّة بدرسة ثمينة انهالت الاكتتابات من كل صوب

وبعد موت الدكتور موكل بأسبوع واحد ماتت المرضة بيخا ولم يتعدَّ هذا المرض الى غيرها. امَّا الدكتور بوخ والراهبتان الذين أدُّوا الامانة مخلصين في خدمتهم بالمأوى المذكور فلم يطرأ على صحَّتهم ما يشوِّشها بل بقيت صحيحة سالمة وكافأهم جلالة الامبراطور فرنسيس يوسف بجنحهم وسامات جديرة باخلاصهم وامانتهم. انتهى

هذه طرفة من تاريخ ذاك النطاسي المحمود الاثر يراها القارئ حاوية مثال الآداب الكاملة مستبطنة العواطف النبيلة والفوائد الجليلة متضمنة من شواهد المروَّة والشهامة والتفاني في خدمة العلم والبشرية الى غير ذلك من الفضائل السامية ما ليس وراءه زيادة لمستزيد. وأخلِق بالنمسويين ان يفاخروا ويفتخروا به كما افتخر الفرنسويون بباستورهم واحرِ بهم ان ينصبوا له تمثالاً بديعاً يخلّد ذكرهُ الطيّب الى ما شاء الله

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٨ معراب

معراب مزرعةٌ على عِطف الجبل بين دلبتا وعين ورقة تبعد نحو كيلومتر ونصف من عين ورقة في شرقيّها بجهة ريفون. فيها آثار مائلة يعرفها اهل تلك الضواحي بقلعة معراب او يدعونها بمطلق اسم القلعة. والارجح ان هذه الاخربة احدُ الهياكل العديدة التي ابتناها ارباب الدين القديم على مشارف لبنان تعزيزًا لديانتهم. وهو نِعم الموقع يمتدُّ منهُ البصر جنوبًا الى بيروت وبحرها اللازوردي وشمالًا الى جبيل وبطائحها الخضراء. والآثار الباقية عبارة عن حيطان ضخمة الحجارة طولها ٢٥ مترًا في ١٠ امتار عرضًا و٦ امتار علوًّا. وقد قيست بعض الحجارة فاذا طولها يبلغ خمسة امتار بنيّف في عرض مترين. وفي البناية حجاة مشعَّة محفورة في الصخر ذات حافة ينفذ فيها سقاية لعلّها جُعلت قديمًا لتجري فيها دماء الذبائح وأسكاب التقادم. وهذه غاية ما نعلمهُ عن هذه البناية التي أعلن اوَّلًا امرها اليسوعيُّون في غزير فأرشدوا اليها رينان ايام سياحته

في لبنان فذكرها في كتابه «بعثة فينيقية» (١ ولم يصفها



آثار قلعة معراب

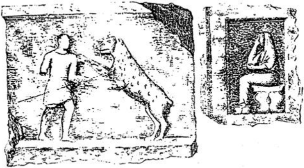
٩ غينة

فاذا انحدرنا الآن من مزرعة معراب وعبرنا وادي غزير ثم اتجهنا الى ناحية كفور (٢حيث تنتصب قمّة مستديرة الشكل تُعرف برأس الكنيسة وجدنا على مسافة نحو كيلومترين منها بجوار قرية غينة صخرةً منفردة يبلغ علوّها بضع امتار

وللصخرة المذكورة وجهان الشماليّ والشرقيّ قد نحتهما القدماء. فنقشوا في كلّ منهما ثلاث تصاوير نائتة طمس الدهر قسماً منها وكُسر منها قسمٌ عمداً. واوّل من وقف من العلماء على هذه النقوش الغريبة الابوان اليسوعيّان بوركنو (Bourque-noud) وروز (Roze) في سنة ١٨٥٧ ورسما صورها في مجلة الابحاث (٣

فالجهة الشرقيّة وهي الكبرى تمثّل بطلاً عبل الذراعين شديد الجسم في يدهِ رمحٌ

١) راجع Mission de Phénicie, p.328 ٢) راجع ما ورد عن كفور في الكتاب السابق ذكرهُ (ص ٣٢٧) ٣) راجع Etudes Religieuses, 1861



آثار غنة



آثار المشنقة

مُشرع كأنهُ متحفّز للقتال وقد صوّب بسنانهِ الى صدر حيوان ضارٍ هجم عليهِ وسند احدى قوائمهِ الى كتفهِ كأنهُ يحاول افتراسهُ. والشخص المنوَّه بهِ لابسٌ ثوبًا خفيفًا وهو شعار لا يكاد يبلغ ركبتهُ تضمُّهُ حبكة عند وسطهِ. امَّا هيئة الحيوان فهي اقرب الى الدبّ منها الى الاسد. وقياس القسم المنحوت من الصخر يبلغ مترًا و ٩٦ سنتيمترًا علوًا ومترين و ٨٨ س. عرضًا

وبقرب الصورة الموصوفة آنفًا نقشٌ آخر اصغر منهُ يمثّل امرأةً رشيقة القدّ جالسة على مقعد تراها كئيبة البال كئيبة وهي تميل بوجهها الى صورة البطل القاتل. وعلى رأسها قناع يبلغ طرفاهُ الى وسطها. امَّا رجلاها فتسندها الى مسند نقوشهُ على مثال المقعد التي هي جالسةٌ عليهِ

وفي الجهة الثانية من الصخر على شمال هذه التصاوير رسوم اخرى يبد أنها دائرة مطموسة. وممَّا يظهر منها جليًّا صورة شخص منتصب يتكي الى شبه سهم او صولجان تلوح على وجههِ امارات السكينة والوقار. امَّا بقيَّة التصاوير فلا سبيل الى وصفها او اثبات رسومها لاندثارها وما لا شك فيهِ انَّ ثمَّ صورة حيوان ولعلها وحشان. وللاب العلّامة بوركنو (١ مزاعم في شرح تصاوير هذا النصب الثاني لا يوافقهُ عليها العلماء. وما من شأنهِ ان يكشف عن سرّ معنى هذه النقوش انَّ تحت رسوم الجهة الشرقيَّة مغارة نُحتت في الصخر

ولا ريب ان هذهِ البقايا تنبئ بآثار من تعبُّد اهل فينيقية لأدونيس او تموز (٢. ولعلَّ الاحاديث الشائعة بين القوم كانت تشير الى قرية غينة وتروي عن موت هذا الاله انَّهُ قُتل في هذا المكان فناحت عليهِ امُّهُ الزُّهرة او عشتاروت. امَّا المدفن فالمرجح انَّهُ نُحت تخليدًا لهذه القصَّة لا لتمثيل قبر حقيقيّ

وما يحسن ذكرهُ هنا ما ورد عن مأتم تمّوز في سفر حزقيال اذ رأى هذا النبيّ رجسًا في الهيكل فوصفهُ بقولهِ (حز ٨: ١٤): «واتى بي الى مدخل بيت الربّ... فاذا هناك نساء جالسات يبكين على تمّوز»

على انَّ هذه الرسوم الدينيَّة لا يتضح معناها تامًا الَّا بمقابلتها بآثار اخرى صبرت على الأيَّام عند قرية المشنقة

١) راجع مجلَّة الابحاث Etudes, 1861, p. 945 ٢) ومدلول كلا الاسمين واحدٌ

١٠ المشنقة

موقع مآثرها الجليلة في وادي نهر ابراهيم على ربوة ذات قطع عمودي مشرفة على النهر ولتلك الضواحي منظر يجمع بين الحسن والغرابة. اما الآثار التي تستلفت الخاطر في المشنقة فاربعة:

(الاولى) عبارة عن سور مربع مستطيل تكسيره ٩٥ مترًا طولًا في ٥٠ عرضًا. وباب البناء من جهة الشرق. والظاهر انَّ هذا التربيع كان يحدّ سابقًا المعبد والابنية اللاحقة به كما ترى في قلعة فقرا وفي حصن سليمان في بلاد النصيريَّة وغيرهما. وحائط السور قليل السمك بسيط البناء يستند في جهته الشماليَّة الى صخر. وفي داخل السور في الجهة المقابلة للباب بقايا اساس مربَّع بُنيت فوقهُ عواميد لم يبقَ منهـا غير حجارتها السفليَّة. وقد اتُّخذ جانب من اخربة هذا البناء لعمارة حديثة

واذا احفينا في البحث عن اصل هذه الاطلال وجدنا انها كانت هيكلًا يتوسَّط السور الذي ذكرناهُ. وكان لهذا الهيكل اعمدة من الطراز الهندسي القورنتي يعلوهُ شبهُ هرم مخروط الشكل بقي منهُ حجران منقوشان نقشًا بديعًا

والآثار (الثانية) على شمال السور الموصوف تبعد عنهُ ١٢٠ مترًا. فهناك مجاز قد نُحت في الصخر ونُقش على جانبيهِ رسوم قديمة. وفوق هذا الصخر نواويس ضخمة منقورة في الصخرة على شكل أجران مستطيلة لها اغطية مخروطة الجوانب. اما النقوش فهي باقية وهي سبعة عدًّا ففي مدخل المجاز المذكور صورتان عظيمتان متقابلتان من كلّ جانب وهما منقوشتان في ضمن إطار او كوّة من صنف الهندسة الايونيَّة ويلاصق هاتين الصورتين من جانبيهما صورتان اخريان اصغر منهما ولكلّ منها اطار متقوّس كما ترى في الصورة (ص ٥٩٧). والصورة السابعة وهي متوسّطة في الكبر نُقشت في الصخر منفردةً عن بقيَّة التصاوير من جهة الشرق

واحدى الصورتين الكبيرتين التي على يمين العابر في الصخر تمثّل بطلًا لابسًا كالشخص الذي وصفناهُ في نصب غينة. ولعلَّ الصورة الموازية الدارسة لقِدَمها تمثّل امرأة تنوح. واما اشخاص الصور الصغرى التي على طرَفي الصورتين الكبريين فمن تبعة الشخصين المتوسّطين تراهم يحدجونهما بالنظر ويتأثَّرون بحركاتهما

ومعنى هذه التصاوير اذا قوبلت بتصاوير غينة يتَّضح جليًا وانَّما تمثّل نبذة من

ترجمة تمّوز اعني موتهُ ومناحة الزهرة عليهِ. قال مكروب المؤرخ اللاتيني(١: « والزهرة مصوَّرة في لبنان مقنَّعة الرأس كئيبة الوجه تسند رأسها الى شمالها المحتجبة بردائها »(٢

والاثر (الثالث) من آثار المشنقة على مسافة عشر دقائق شرقاً من باب السور فهناك ساحة بُني فيها في القرون الغابرة معبد صغير اخربهُ بعض طلّاب الكنوز منذ سنين قليلة. وبين الرَّدْم نُصُبٌ أُقيم ذكرًا للبعل وفي راس النُّصب اكليل وعلى طرفيهِ نقوش تمثِّل الصاعقة (٣

امّا الاثر (الرابع) فهو في شمالي غربيّ السور الاعظم فهناك أبنية من ضيعة سكنها قديمًا النصارى والدليل على ذلك انَّ من جملة الاخربة كنيسة على هيئة الكنائس البوزنطيَّة. ولعلَّ النصارى احتلّوها الى أيام الفتح الاسلاميّ

هذا وقد بحثنا عن اسم المشنقة القديم فلم نجدهُ وكذا قُل عن اسمي غينة ودير القلعة فانَّ التواريخ القديمة لم تُفِدنا من امرها شيئاً. وما لا شبهة فيهِ انَّ هذه المعابد التي وصفناها أُقيمت لاكرام تمّوز إله الجُبَيليين وكان ذكرهُ شائعًا في تلك الانحاء وكثرت الهياكل على اسمهِ. يُستدل على ذلك من اسم نهر ابراهيم عند القدماء. وكانوا يدعونهُ ادونيس (Adonis) وهو تمّوز. امّا عهد هذه الابنية فمجهول ايضاً لكنَّهُ على الاصحّ يسبق زمن تملُّك الرومان على سوريَّة ولبنان (ستأتي البقيَّة)

الطاعون الدمَّلي

مقالة للاب لويس بولوموا مدرّس العلوم البكتريولوجيَّة في مكتبنا الطبيّ (تتمَّة)

٢ في اعراض الطاعون

لمَّا اكتشف بَستور ذلك العلّامة المفضال مجد فرنسة واحد مشاهيرها المبرّزين انَّ لأكثر الادواء العفنة المنتشرة بالعدوى بين الناس والبهائم ميكروبًا خاصًا قائمًا بذاتهِ لم يستثنِ عن هذا الحكم داء الطاعون وان لم يتيسَّر لهُ إفرازُ هذا الباشلُّوس وبيان خواصهِ النوعيَّة

ومن الامور الحريَّة بالاعتبار انَّ احد علماء الرهبانيَّة اليسوعيَّة كان سبق اهل

---

١) راجع كتابهُ Saturnales I, 21 ٢) وسنورد صورتها الموصوفة هنا في عدد قادم

٣) راجع بعثة فينيقية Mission de Phénicie, Pl. XXXII

عصرنا الى تعريف ميكروب الطاعون الدُّملي ووصفهُ في تأليفٍ لهُ عن السموم وصفًا مدقّقًا كأنهُ نقلهُ عن بعض الكتبة الحديثين الذين يفتخرون بتعليلهم لوباء الطاعون. والراهب المذكور هو الاب اثناس كيرخر (A. Kircher) الالمانيّ صاحب الاكتشافات الغريبة كالفانوس السحريّ والمجهر. امَّا قولهُ عن باشلوس الطاعون فقد رواهُ في السنة الماضية المعلم بَليون مدرّس علم النبات في كليَّة باريس واثبتهُ في كتابهِ الحديث عن النبات الطبّي (١ بعد ان أثنى على قائلهِ ثناءً طيّبًا وصادق على صحَّة كلامهِ. فدونك تعريب ما كتبهُ كيرخر سنة ١٦٥٨ ميلاديَّة :

« ان علَّة الطاعون ذرَّاتٌ صغيرة حيَّة تجد في جسم المُصاب تدرُّنًا يصلح لنموّها وانتشارها بنوعٍ عجيب. وهذه الحُيَيْوِنات غايةٌ في الصغر والدقّة حتَّى انَّ البصر لا يدركها البتَّة وانَّما يُطَّلع عليها بمجاهر حسنة مكبّرة. والذي يراها يعدُّها هباءً لكنَّها في الواقع اجسام حيَّة تنمو نموًّا غريبًا لا يفي بعددها إحصاءٌ. وهي تنبثّ في كل مكان فتلتصق بكل الادوات وتنفذ في مسامّ الاجسام مهما كانت ناعمة دقيقة... ويمكن سمّ الطاعون ان يتولّد من تدرُّنات الاخلاط الباطنة الّا ان الاخلاط ذاتها تُعزَز درنًا الّا اذا امتزج بها شيءٌ من الجراثيم العفنة بنفوذهِ من الخارج في الجسم مع المآكل. فاذا ولج الدرن المذكور في الجسم افسد اخلاطهُ وجعلها قابلةً للتسمّم. ولكلّ صنف من التدرُّنات جراثيم خاصَّة تولّد وباءً خصوصيًا ». تمّ قول الاب كيرخر

والحقُّ يقال انَّ هذا الوصف يعرّف ميكروب الطاعون تعريفًا تامًّا بل يفسّر باجلى عبارة اكثر مطالب العلوم البكتريولوجيَّة الحديثة كوجود الميكروب وافرازهِ لموادَّ سامَّة تفسد(٢ الاخلاط البدنيَّة ونموّهِ السريع ونوع انتشارهِ. فلا ينقص لتتمَّة هذه المباحث سوى الكلام عن تربية الميكروب وطرق الوقاية من اضرارهِ

بيد ان الادوات التي كان يتداولها علماء ذلك الزمان لأرصادهم العلميَّة كانت عزيزة الوجود لم تبلغ الكمال العظيم الذي أتَّصل اليهِ مجهزو الآلات الرصديَّة لاسيا المجهر فانَّ عدساتهِ الحاليَّة ضامنةٌ لكل الاسباب المسهّلة لحُسْن الرصد والتشخيص من

---

١) راجع Baillon : *Botanique médicale cryptogamique*, p. 210

٢) كذا دعا الاب كيرخر الميكروب. وهكذا ارتأى پستور وقد اجمع اليوم العلماء على انَّ الميكروب نقاعيَّات من انواع الفُطر (راجع المشرق ١ : ٧٣)

حيث تعظم المرئيات وإنارتها بانوار ساطعة تكشف عن خفيّاتها. فلهذا السبب بقي اكتشاف الابّ كيرخر نسياً منسياً في زوايا المكاتب الى هذه السنين الاخيرة حيث فشا الوباء في تخوم الصين وعاد العلماء الى البحث عن كنهِ واعراضهِ. فاحرزت مساعيهم النجاح التام وتمكّنوا من العدوّ المتستّر في الدمامل الوبائية فاخرجوهُ من مكمنهِ وبحثوا عن مقاتلهِ ليردُّوا بالعلاج كيدهُ في نحرهِ

وانّما الفضل في اكتشاف جراثيم الطاعون يعود لأستاذَين عالِمَين وقفا عليها في وقت واحد دون ان يتواطأا على العمل احدهما فرنسيٌّ وهو الدكتور يَرسين (Yersin) الطبيب الاعدادي في مكتب پستور سابقًا واحد اطبّاء المستعمرات حالًا امّا الثاني فهو يابانيٌّ يدعى الدكتور كيتازاتو. وقد اتّصل كلاهما الى إفراد ميكروب العدوى بطريقة خاصّة فجعلا يُنعمان النظر في خواصهِ الحيويّة ويتبيّنان اعراضهُ ويصفان مفاعيلهُ وقد كتبا في ذلك مقالات مسهبة منذ سنة ١٨٩٤ ونشراها في عدّة مجلّات علميّة لاسيّما «نشرة مكتب پستور» و«مجلّة المكتب العلميّ الباريسيّ» وليست مقالتنا هذه الموجزة سوى خلاصة ابحاثهم ولُباب اقوالهم

كان الطاعون تفشّى في احد اقاليم الصين الجنوبيّة يدعى يونّان منذ بضع سنوات فسرى في اواسط آذار الى كنتون واجتاح من اهلها ٦٠٠٠٠ ثم تعدّى بعد قليل الى هنغ كنغ فحصد من اعمار الصينيين ما حصد فتخوّف الفرنسيّون على املاكهم في التنكين والهند الصينيّة لما بين هذه المستعمرات واقاليم الصين الوبيئة من الحركة التجاريّة. فاخذ اصحاب الامر يفكّرون في الوسائط لتلافي الشر قبل ان يستشري ويتّسع. فتقدّم وزير المستعمرات الى الدكتور يرسين بان يُبحِر الى هنغ كنغ من الاملاك الانكليزيّة فينقطع الى البحث عن الطاعون واسبابهِ وطرق الاتّقاء من بلائهِ. فلمّا قدم البلد ونال من الحكومة الانكليزيّة الرخصة للحلول في مستشفى المصابين بالعدوى جعل من وقتهِ يُجري الاختبارات العديدة لبلوغ مرامهِ. واوّل ما تحقّقهُ ان وباء هنغ كنغ هو نفس الطاعون الدمّلي الذي وصفهُ المؤرّخون في القرون الماضية وخصوصًا المؤرّخ اغاغيوس في عهد يستينيان الملك كما ذكرنا اذ وجد يرسين كلّ الاعراض التي اشار اليها ذلك الكاتب المدقّق كقولهِ انّ مدّة ايّام الحضانة تبلغ اربعة ايّام ونصفًا يحسّ المصاب في اثنائها بتوعّك المزاج وانحطاط القوى وصُداع وحمى خفيفة وهذيان. ومن اعراض المرض

انَّ الداء يعضل بغتةً وتقوى الحمَّى وتظهر بثرة وحيدة او اكثر تكون في الغالب عند الأُربيَّة وربَّما كانت تحت الابط وفي بعض الاحيان عند نقرة القفا او غير اماكن. ثم تعظم الغدَّة المجاورة للبثرة وتبلغ كبر البيضة. وعاقبة كل ذلك الموت بعد ٤٨ ساعة او اقل. واذا عاش المريض فوق خمسة او ستَّة ايام تكون الدلائل حسنة وتتخي الدُّمَّلة ويجوز بزلها لتخرج منهُ المِدَّة وكثيرًا ما تتفجر من تلقاء نفسها وليس الشفاء حينئذٍ تامًّا بل يحدث مرارًا ارتباك في حالة المريض يذهب بحياته

وفي بعض الاصابات يتفاقم الداء بسرعة غريبة ويأتي بالموت الوحيّ قبل ظهور الدمامل ولكن يصحب المرض تريف دموي في الاغشية المخاطيَّة وبُقع حمراء على الجلد. ولعلَّ هذه الظواهر هي التي حملت بعض الاطبَّاء على قولهم انَّ الدمامل ليست من اعراض الطاعون الواجبة. ولكن ليس ذلك الَّا نادرًا اذا اعضل الداء وسبق سيفُهُ العذل

امَّا الموتان فقد لاحظ الدكتور يرسين انَّهُ مريع هائل يربي على كلّ الاوبئة الاخرى. وكان معدَّل الوفيات في مستشفيات هنغ كنغ يبلغ ٩٥ في المئة اعني لا ينجو الَّا الواحد في العشرين. ولمَّا انتشر الوباء من ثمَّ وضرب باطنابهِ في الهند الانكليزيَّة تحقَّق الاطبَّاء قول الدكتور يرسين وصادقوا على ملاحظاته

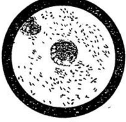
٣ تعريف ميكروب الطاعون

ثمَّ اخذ الدكتور العالم المذكور يبحث عن ميكروب الداء الذي في دم المصابين او في قيح دماملهم هل باشلوس الطاعون يختلف عن باشلوس الادواء الاخرى فما لبث ان تقرَّر لديهِ انَّ للطاعون ميكروبًا قائمًا بذاتهِ ومن صفاتهِ انَّهُ غايةٌ في القصر مكتنز مستدير الاطراف امَّا قصرهُ فبين ميكرون او ميكرونين (والميكرون ١٠٠٠/١ من المتر) تراهُ في شكلنا الأول مكبَّرًا (ص ٦٠٤). والباشلوس المذكور ينتشر في اخلاط البدن ولا يدخل الدم الَّا اذا كان من النوع الخبيث الوبيل الآفات

وينمو ميكروب الطاعون في الاعضاء الباطنة كالكبد والطحال. الَّا انَّ صغر جراثيمهِ الآليّة لا يسمح بدرس أعراضها طالما هي في الجسم. فمن ثمَّ لا بدَّ من ان تُستخرج من كينها وتُمدّ على صفيحة من الزجاج وتُلوَّن بمحلول احمر من الفوشين (fuschine) او ازرق من الميتيلين (méthylène) او بنفسجي من الجنطيانة (gentiane)

فاذا اصابت المادة الملونة الميكروب تلوَّن من ساعتهِ بلونٍ ناصع الّا وسطهُ فانهُ يبقى فيهِ فضاء مستدير لا يتلوَّن

امَّا تربية ميكروب الطاعون فانَّ الدكتور يرسين اخذ لذلك شيئًا من قيح الدمَّلة الطاعونيَّة وجعلهُ في احدى الموادّ الغذائيَّة كالحساء والمَصل والجيلاطين فوجد انَّ الميكروب المنتشر صناعيًا يختلف عن الميكروب العاديّ لاسيما اذا نما في الحساء فانهُ يشبهُ سلاسل متَّصلة الحلقات. وفي وسط السلسلة او طرفها غدَّة كرويَّة ناصعة اللون



مدة دُبَيلة الطاعون مكبَّرة ملوَّنة



حراثة ميكروب الطاعون (عن الدكتور يرسين)

وممَّا يجدر بالملاحظة انَّ الميكروب في هذه الأغذية الصناعيَّة لا ينتشر بسرعةٍ في اول الامر وانَّما نموهُ بعد بضعة ايَّام. ومنهُ ما يتوفَّر عديدهُ ويتزايد قبل غيرهِ. فاذا اخذتَ هذه الجراثيم الحديثة وجعلتها في انابيب مجهَّزة لحراثة الباشلُّوس انتشرت بزمن قليل انتشارًا غريبًا لكنَّ قوَّتها السامَّة اخفّ من الاولى فاذا لقَّحتَ بها حيوانًا لم تقوَ على قتلهِ او قتلتهُ بعد زمن مديد. ويُمكن تلطيف شدَّة الباشلوس بحراثتهِ المتوالية بحيث لا يبقى منهُ ضرر. وممَّا تقرَّر بالتجربة انَّ ميكروب الطاعون في اوَّل ظهورهِ وخيم العقبى يفتك اذ ذاك فتكًا ذريعًا ولا يزال يخفّ قوَّةً بانتشارهِ حتى يضمحلّ تمامًا. وربَّما بقي الميكروب في بلدةٍ سنين طويلة لا بأس منهُ فاذا ساعدتهُ الاحوال كرَّ راجعًا وابتلى بعدواهُ الاقطار ثانيةً

وللسائل ان يسأل هل لميكروب الطاعون حياة طويلة وهل تقوى منهُ العوامل الطبيعيَّة دون عناء

جوابنا على هذا السؤال ان الميكروب عموماً جراثيم نباتيّة تنمو وتتوالد . وكلّ نبات من حيث نموهِ يتغذي ويربو ومن حيث توالده ينتج بذراً ان كان من طبقات النبات العليا وجراثيم صغرى ان كان من طبقاته السفلى . فاذا اعتبرنا نبات الصنف الاول وجدنا كثيراً منهُ لا يعيش سوى شهور ثم يأتي ببذره ويهلك . امّا البذر او الحبّ فانهُ ربّما عاش سنين طويلة بل اجيالاً عديدة دون ان يفقد قوّتهُ النابتة فتتوارد عليهِ العوامل الطبيعيّة والكيمويّة دون ان تعدمهُ قوّتهُ وخواصّهُ

ويصحّ هذا القول في نبات الطبقات السفلى ايضاً فانّ فيها الاركان النباتيّة والجراثيم المتولّدة منها فحياة الاولى تختلف في الطول ومنها ما لا يعيش الّا الزمن القصير . وميكروب الطاعون من هذا الصّنف فانّ حيويّتهُ ضعيفة ويكفيهِ لابطال نموهِ حرارة ٤٠ درجة من ميزان السنتيغراد واذا زادت الحرارة قليلاً مات الميكروب

امّا الجراثيم المتولّدة من اصناف النبات السفلى فانها كالبزر ربّما ثبتت سنين عديدة دون ان تفقد قوّتها . وقد ذكر الاستاذ ترينكارلّي (Trincarelli) عن جراثيم الطاعون انّ بعض المصابين بهذه العدوى دُفنوا ورُبطت جثثهم بحبال واودعت في توابيت فلمّا مرّ عليها عشرون سنة فتح بعض الخدم تابوتاً منها وانتزع حبالهُ فابتُلي من ساعتهِ بالطاعون وانتشر الوباء فذهب باعمار ١٠,٠٠٠ شخص

واخبر سومرت (Sumert) انّ الطاعون الذي فشا في مدينة برسلو سنة ١٥٥٣ كان سببهُ من بعض أسمال رثّة كان لبسها المصابون فطُمرت بقبورهم ثمّ نُبشت بعد احدى عشرة سنة فأعدت كلّ الاهلين

فهذه الحوادث وغيرها تبيّن صريحاً انّ جراثيم الطاعون لا تفقد مضارّها مع طول الزمان فاذا صادفت احوالاً مناسبة لكيانها عادت وتولّدت وفشت لاسيما وانّ الميكروبات الصغرى تنمو ليس فقط بتولّدها من بعضها بل ايضاً بانقسام اجزائها اقساماً حيّة فتنتشر بسرعة لا شبيه لها

٤ في طريقة انتشار الطاعون الدملي

ومن المزاعم التي ذهب اليها بعض العلماء ومن جملتهم العلّامة كلوت بك واكثر الاطبّاء الفرنسيين القاطنين في مصر سنة ١٨٤٦ عند ما فشا الطاعون أنّ هذا الداء ليس بمعدٍ وانّما هو من الامراض العفنة الناتجة عن قلّة النظافة . غير ان رأيهم هذا

خالفتهُ الاختبارات الحديثة وهاك خلاصة ابحاث الحديثين :

اوَّلًا انَّ الطاعون لا يظهر في بلد الَّا اذا انتقلت اليهِ جراثيمهُ المعدية ولا صحّة لقول من يزعم انَّ العدوى تنشو طوعًا في بعض الاقطار وقد قرَّرت لجنات الاطبَّاء جميعها انَّ هذا الوباء فشا في البلاد بعد بلوغ الجراثيم اليها

ثانيًا اكثر من يصابون بالطاعون الذين يتعرَّضون لملامسة المطعونين. يشهد على ذلك معظم عدد الاطباء الذين يموتون وقت الطاعون لتمريض المرضى. أجل انَّ مجرَّد اللمس لا يكفي لنشر العدوى لانَّ الجلد حاجز في وجه الميكروب لا يمكنهُ ان يتعدَّاهُ بيد انَّ الباشلوس ينفذ في جهاز الجسم اذا وجد جرحًا او سحجًا في الجلد او يدخل القناة الهضميَّة مع المآكل الملوَّثة بالميكروب

ثالثًا انَّ الاعتزال عن المصابين ينجي من آفة الطاعون. والدليل على ذلك انَّ البلاد التي يقام لها نطاق صحّي وحجر تامّ يفرزها عن الاماكن المصابة بالعدوى لم ينلها اذًى ولو كان حولها مدن او قرى احتلَّها الوباء فاعداها

رابعًا يمكن الطاعون ان يتعدَّى الى شخص بالتلقيح. كما يظهر ذلك في حيوانات عديدة لُقحت بجرثوم الوباء فماتت بعد ساعات قليلة. ولا يخرج الانسان عن هذا الحكم

امَّا تلقيح البشر بجرثوم الطاعون فهو امرٌ جرى اختبارهُ في مستشفى الازبكيَّة سنة ١٨٣٥ في خمسة من المجرمين حُكم عليهم بالموت فأُلبس اثنان منهم ثيابًا سبق فلبسها بعض المطعونين فسرت اليهما العدوى وماتا. ولُقّح الثلاثة الآخرون بجراثيم الدّبَيلات فمات منهم اثنان ونجا الثالث. فثبت من ثمّ انَّ الطاعون مُعدٍ

ولكن كيف ينتشر ميكروب الطاعون وما هي الطرق التي يتَّبعها لينتقل من شخص الى آخر ؟

نجيب انَّ للطاعون كما لجميع الاوبئة ثلاث طرائق ينتشر بها في البلاد فيستشري شرُّهُ وتشتدّ شوكتهُ: فالطريقة (الاولى) نفوذ الجراثيم في الجلد بان تقع على مكان منهُ أُصيب بجرح او سحج مهما كان خفيفًا فتتعدَّى الى ما وراء الجلد وتفتتح بالاجهزة الباطنة. والطريقة (الثانية) بان يحمل الهواء جراثيم الوباء وينقلها بالتنفُّس الى الاعضاء الباطنة. امَّا (الثالثة) فنفوذ تلك الجراثيم في اجهزة الهضم كما بيَّنهُ الدكتور يرسين بإطعامهِ الجرذان قطعًا من لحم الحيوانات المطعونة كالكبد والطحال فمات اكثرها

بالعدوى. الّا انَّ هذه الطريقة الثالثة نادرة في الانسان حتى ان الدكتورين ڤيسوكوڤيتش (Wissokowitch) وزَبلونسكي (Zablonski) الذين عدّدا الاختبارات في جباي وفحصا امعاء المصابين أنكرا تجاوز الجراثيم الى الامعاء او نسبا ذلك الى اعراض ثانويَّة لا يُعوَّل عليها. والطريقة الثانية تحدث في بعض الاحيان فيصيب المرء نوع من مرض ذات الرئة الّا ان اعراضهُ مختلفة عن اعراض المرض العادي

الّا انَّ وباء الطاعون ينتشر عادةً على الطريقة الاولى بنفوذ جراثيمهِ في الجلد. امَّا نقل الجراثيم الى الجلد فالهوام وهاك بيانهُ:

اعلم ان الطاعون هو في الاصل عدوى الفيران والجرذان ولذلك يُدعى عند بعض الامم « داء الفيران ». ولمَّا كانت هذه الحيوانات تعيش في الاسراب والمحالّ القذرة وتنمو فيها نموًّا بليغًا فانَّها تبحث في الارض وتحفر لها حفرًا وتسكنها. ولا غرو انها في بعض الاحوال تثير الجراثيم المطمورة في القبور او غير اماكن وبيئة فتنتعش وتلسع الجرذان. والدليل على ذلك انك ترى في ايَّام الطواعين عددًا لا يحصى من الجرذان والفيران الميتة. وقد انبأت بذلك الاخبار الواردة من الصين والهند في زمن العدوى الاخيرة التي حدثت هنالك. وفي الاسابيع الماضية قرَّر الاطباء المصريون انهم وجدوا في الاسكندريَّة عددًا من الجرذان المصابة

ثمَّ ينتقل الوباء من الجرذان الى البشر بواسطة الهوام الحلميَّة وذلك انَّ البراغيث والقمل واشباهها تأوي الى اجسام الجرذان فتتغذى من لحومها فاذا ماتت الجرذان انتقلت منها الى الانسان وهي قد امتصَّت جراثيم الوباء فتقرص جلدهُ وتفتح بقرصها منفذًا للعدوى. والاختبارات العديدة قد أيَّدت ذلك بحيث لم يبق سبيل الى نكران الامر

ومن نَقَلة الوباء الذُّباب يحطّ على موادّ ملوَّثة بالوباء فينقل الجراثيم منها الى جلد الانسان. ومن امتحانات الدكتور يرسين انَّهُ اخذ ذبابًا ودقَّهُ وصبَّهُ في الماء ثم لقَّح بهِ الجرذان فاجتاحها الوباء بفتك ذريع. فمن الامور الواجبة اذًا ان يُقطع دابر هذه الحيوانات في المدن التي يتخوَّف سكَّانها عليهم وقوع الطاعون

• الوقاية من الطاعون

بقي علينا ان نذكر شيئًا من الوسائط التي يتَّبعها الآن ارباب الطبّ لكسر شوكة الطاعون في المصابين مع طرق الوقاية من بلائهِ في زمن تفشيهِ

يترتب علينا هنا ان نبحث في مطلبين: الاول هل يمكن ان يُلقّح احد الحيوانات المتعرضة لشرّ الطاعون فيُعصم بذلك من سوء عقباه. والثاني هل لمصل الحيوان المذكور قوّة شافية من العدوى

فنجيب على هذين السؤالين بالايجاب مستندين الى الاختبارات التي اجراها الدكتور يرسين في أرنوي من اعمال التمسنصين. فانَّ هذا العلاَّمة الفضال بلغ الى ان يجمل الخيل معصومة من سمّ الطاعون حتى انهُ كان يلقحها بكميَّة وافرة من الميكروب الوبائي دون ان يلحقها ضرر. ثمَّ استخلص مصل الخيل المذكورة فلقَّح جُرذانًا ببعض سنتيمترات مكعَّبة منهُ ثمَّ سلَّط عليها ميكروب الطاعون فلم يُصبها أذًى

واوَّل علاج حصل بالمصل المذكور يستحقُّ الذكر. وذلك انَّ احد الشبّان الصينيين من تلامذة المرسلين الكاثوليكيين في كانتون نالتهُ العدوى فأدَّت به الى شفا الموت بعد ساعات قليلة فاسرع السيّد شوس (Chausse) اسقف تلك المدينة الى الدكتور يرسين وطلب منهُ أن يعرف علاجًا للطاعون فكان جواب الطبيب النطاسي: «انَّ لديَّ دواء ولكني لم أُجرِّبهُ قطّ في بشر». فأتى به الاسقف الى المطعون وسألهُ ان يختبر فيه قوَّة المصل فحقنهُ الدكتور ثلاث حقنات بنحو عشرة سنتيمترات مكعَّبة من المصل الساعة الخامسة مساء ثم الساعة السادسة ثمَّ التاسعة. ففي اليوم التالي كانت الحمى قد توارت وشفي المصاب بوقت قريب

فلمَّا رأى الدكتور يرسين نتيجة دوائهِ اسرع فاختبرهُ في ٢٣ مصابًا من مستشفى البلدة فشفي منهم ٢١ ومات اثنان فقط. وهذا لعمري من اعجب الامور لاسيَّا اذا اعتبرنا انهُ ليس بين الاوبئة داء اوخم عاقبة من الطاعون كما سبق. وما لبث الاطبَّاء ان استعملوا المصل في بماي فافضت امتحاناتهم الى نتائج مرضية ولولا انَّ الاهلين تمنَّعوا من اتخاذ هذا الدواء وتعصَّبوا عصبًا وتهدَّدوا ذوي الامر لفاز عدد جمٌّ من المرضى بالشفاء التام

وجمل الآن اصحاب مكتب بستور في باريس وغيرهُ من المكاتب البكتريولوجيَّة يجهّزون المصل الموصوف للوقاية من الطاعون والأمل وطيد انَّ فاعليَّتهُ ستضرب الطاعون ضربة لازبة بحيث يسقط معدَّل الوفيات الى عدد قليل وانَّما يشترط في استعماله ان يُحقن به المصاب اوَّل مرضه

اما الوسائل الواقية من الطاعون قبل وروده فرجعها كلها الى النظافة. واذا أُصيب احد بالمدوى فليعزل تماماً عن اهله لا يقترب اليه الّا الممرّضون والاطبّاء. مع اتخاذهم كلّ التحوُّطات المفروضة عليهم لحسم الداء عن اشخاصهم فيغتسلون غالباً بالمطهّرات المزيلة للاعفان والادران ولا يأكلون في حجرة المريض ويحرقون كلّ الامتعة التي لمست المطعون او اتخذها لخدمته. وممّا يبيّن نتائج النظافة في ايّام المدوى انّ البعثة الانكليزيَّة التي أُرسلت الى هنغ كنغ لفحص الطاعون لم يُصب احد من اعضائها بالوباء وكانوا احد عشر شخصاً مع انهم لم يزالوا يتردَّدون بين المطعونين وقد نسبوا ذلك الى القوانين الصحيَّة التي اتّبعوها طول مدَّة اقامتهم في تلك البلدة الموبوءة (١

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لاحد الادباء من محرّري الجرائد

انتقدت مجلّة الضياء الغرَّاء على كتَبة الجرائد استعمالهم بعض الالفاظ في غير معناها واتّهمهم ايّاها في غير منازلها والحقّ يقال انها نبَّهت في مقالتها التي عنوانها « لغة الجرائد » الى كثير من الاغلاط الفاشية فحقّ لها الشكر على هذه الخدمة المقصود بها صيانة الاقلام عن شوائب الخطاء. الّا انّنا بعد مطالعة المقالة المذكورة خطرت لنا بعض ملاحظات فوددنا ابداءها لرصيفتنا المشار اليها فان أصبنا فذلك ما نتوقّع وان لم نُصب فالانسان على كلّ حال مظنَّة الزلل

١ خطَّأت مجلّة الضياء الكتبة في استعمال التحوير بمعنى التهذيب والتنقيح قائلةً: ان اللفظة لم ترد في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني وانّما هي في اللغة بمعنى تبيض الثوب

ونحن نرى انّ هذا الاستعمال حسن وفصيح لان الكتبة نقلوا اللفظة من معناها الاصلي الى المجاز ولا مانع يعترضهم دون ذلك وهم يريدون بها اعادة النظر والمراجعة تشبيهاً لذلك بتبييض الثوب. وعليه لا نظنّ تخطئتهم صوابيَّة الّا اذا قلنا ان باب

١) ارسل لنا جناب الدكتور ف. بركات طبيب المستشفى الفرنسيّ في بيت لحم مقالة حسنة في الطاعون ووردتنا بعد مقالة حضرة الاب بولوموا فاكتفينا بالاشارة مع شكر الكاتب الاديب

المجاز مقبل في وجوههم وهذا باطل . أو ليست كلمة يبّض التي هي كحوّر دلالةً قد استُعملت من زمانٍ قديم دون اعتراض بمنى تنقيح الكتابة وكذلك لفظة سوَّد استُعملت لما يُكتب ابتداء بقصد مراجعتهِ

ثم ان كلمتَي نقَّح وهذَّب اللتين ارادت مجلّة الضيــاء استعمالها بدل حوَّر هما كذلك متنولتان عن معناها الاصلي الى معنى الاصلاح والاخلاص . فاذا كان قد جاز للمتقدّمين استعمال المجاز فلماذا لا يسوغ ذلك للمتأخّرين ؟

٢ ثمَّ خطأَت قولهم « اشار عليهِ بكذا فانصاع لمشورتهِ » وقالت انهم يعنون بانصاع انقاد واطاع ولا وجود لذلك في اللغة لكن يقال انصاع الرجل اذا انفتل راجعاً مسرعاً

والذي نظنّه ان مستعملي هذه اللفظة غير مخطئين لانهم لم يحوّلوها عن معنـاها الاصلي الذي ذكرتهُ مجلّة الضياء . فهم يصوّرون المشار عليـهِ بمنأى في الشطط ويتلون النصيحة كشيء يُعيــدهُ الى المسلك القويم فيرجع اليهِ مسرعاً . فهو على حد قولنا ان فلانًا المعن في غوايتهِ عاد بسرعة الى سواء السبيل لمَّا سمع النصح

٣ وعابت الضياء على الكتبة قولهم « وهم في حاجةٍ الى الغــذاء والكساء » . فقالت انهم يستعملون الكساء بالمدّ لمطلق الملبوس وانما الكساء ثوب بعينهِ

ونحن لا ننكر انَّ الكساء ثوب خاصّ ولكن يَعذر الكتبةَ أنهم يريدون الجمع بين لفظين متوافقين زنةً ليكون ذلك احسن في السمع ولنا ان نقول أنهم يقيمون الجزء مقام الكلّ جريًا على آثار البلغاء الذين كثيرًا ما فعلوا مثل هذا

٤ وقــد خطأَت ايضًا استعمال أمعن متعديًا وقالت انهُ لا يقال أمعنتُ النظرَ في الامر

الّا انَّ كثيرين من المنشئين المجيدين استعملوا هذا الحرف متعديًا . قال النويري وهو من مشاهير الكتّاب : « أمعنَ النظرَ وطلب الاستخارة » . ثم انهُ يؤخذ من كتب اللغويين ان أنعَمَ كأمعَنَ او بالحري هي مقلوب الاولى فاذا كان المنشئون المشهود لهم بالتبريز يستعملون أنعَمَ متعديًا فلماذا لا يجوز استعمال أمعَنَ ايضًا كذلك . قال الحريري في مقامتهِ الراغيّة : « هل للقدماء اذا أنعم النظرَ من حضرَ غير المعاني المطروقة الموارد الخ » . وكذلك ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك يقول : « ارشدنا الله واياه ان يُنعمَ

النظر فيا شكٌّ فيه منهُ الخ ». هذا وانَّ أحمد فارس الشدياق الذي قضى حياته في نقد كتب اللغة وتغليطها وألّف عدّة من التصانيف الشاهدة لهُ بسعة الاطّلاع في هذا الامر كثيرًا ما استعمل امعن متعدّية بنفسها ولا شكّ انَّ مثلهُ لا يُتهم بالجهل

وقول الضياء بان أمعن لم ترد في كتب اللغة متعدّية لا يصلح ان يؤخذ حجّة قاطعة طالما ان كتب اللغة لم تُحط بكل الالفاظ كما هو مسلَّم وعليه فيكون استعمال الكتّاب المشاهير ممّا يستأنس بهِ على الاقلّ في مثل هذا

٥ ومن انتقاد الضياء انها عابت استعمال استأسر بمعنى أسر قائلة انهُ بمعنى استسلم. والحال ان ذهاب الضياء الى كون هذا الحرف لا يستعمل متعديًا منقوض بما جاء في كتاب المغرب للمطرزي الشهير فانهُ ذكر استأسر صريحًا بمعنى أسر واورد على ذلك حديث عبد الرحمن وصفوان وهو « أنهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندها من هوازن »

٦ وقد انكرت الضياء قولهم « خرج في موكب يبلغ خمسة آلاف عدًّا » وقالت انهم لا يتدبَّرون معنى العدّ هنا. وبيانه انك تقول لي على فلان خمسة آلاف درهم عدًّا اي عليه هذا القدر معدودًا عدًّا لا بطريق التقدير والتقريب فيكون مفاد هذا اللفظ اذًا التحقيق والتوكيد لا الحشو والتزيين كما يتوهَّمونهُ

نقول أننا لا نظنُّ كتبة الجرائد يستعملون هذا اللفظ في غير المعنى الذي ارادتهُ مجلّة الضياء. فاذا قالوا خرج في موكب يبلغ خمسة آلاف عدًّا يريدون انَّ الموكب يبلغ هذا المبلغ بالتحقيق والتوكيد لا بالظنّ والتقدير وهم يقولون ذلك اذا تمكَّنوا من معرفة العدد معرفة صحيحة وما ذلك عليهم بممتنع. ولا ندري ما هو السبب الذي يُسوّغ القول « نقدتهُ خمسة آلاف عدًّا » ولا يُجيز « بلغ الموكب خمسة آلاف عدًّا » طالما ان المقصود توكيد الامر وتقريره في كلا التعبيرين

٧ ثم قالت مجلّة الضياء : « ويقولون فعل هذا لمصلحة اهل جلدته يريدون قومه واهل جيله. وقد أولع كتّابنا بهذه العبارة وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن اصل مغزاها وهي في الاصل من قول جرير وقد مرَّ بنُصيب الشاعر وهو ينشد وكان نصيب اسود. فقال لهُ : اذهب فانت اشعر اهل جلدتك يعني اشعر السود. فقال : وجلدتك يا ابا حزرة وهي كنية جرير اي واشعر البيض ايضًا. وحينئذٍ لا معنى ان

نقول اهل جلدة الانكليزي مثـلاً واهل جلدة الفرنسوي والالماني لان لكل هؤلاء جلدةً واحدةً »

نقول انَّ هذا الاستعمال لا ينبغي ان يُلحظ فيهِ معنى الاصـل دائمًا بل يجوز التوسُّع فيهِ بدليل ما ورد في التاج قال: « وممَّا يُستدرك عليهِ (القاموس) قوم من جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا ».. فنحنُ نرى انهُ يجوز القول اهل جلدة الالماني مثـلاً واهل جلدة الانكليزي اي قومهُ ورهطهُ وعشيرتهُ وان كان للانكليزي والالماني جلدة واحدة بيضاء.. ثمَّ انهُ من المقرَّر ان للبيـاض والسواد درجات وفروقًا وعلى ذلك فاي شيءٍ يمنع من القول « اهل جلدة السوري واهل جلدة البغدادي والحلبي » مثلاً باعتبار هذه الفروق والدرجات في بياض البشرة ؟

٨ وخطأت الضياء ايضًا استعمالهم أمجاد جمع مجـد قائلة انهُ لم يُسمع للمجد جمع على امجاد ولا على غيرهِ لانهُ مصدر في الاصل. نقول ان لفظة مجد وان لم يُسمع لها جمع يصحُّ جمعها باعتبار تعدُّد انواعها فاذا اضطرَّ كاتب جريدة لجمعها كما قد يعرض ذلك في الترجمات عن اللغات الاجنبيَّة فلا مانع من تكسيرها على أمجاد

٩ ومن انتقادات الضياء ايضًا على كتبة الجرائد قولهم « جاء فلان خلوًّا من المال » بتشـديد الواو فقالت انَّ صوابهُ « خِلوًا » بكسر الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الخالي

نعم ان ما قالتهُ الضيـاء هو الأصوب والاقرب ولكن اي مانع من ان يكون قولهم خلوًّا نصبًا على المصدريَّة بعامل غير مذكور تقديرهُ خاليًا

١٠ وخطأت الضياء استعمالهم لفظة رحوم وقالت ان صوابها رحيم

قال اللسان ما حرفيتهُ: « رحيم فعيـل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم » فيتبيَّن من عبارة اللسان ان كلمة رحوم بمعنى رحيم اي راحم فلا سبيل اذًا لملامة الكتَّاب على استعمالهم

١١ وقالت الضياء: « انهم يقولون هؤلاء اخصامي يريدون جمع الخصم بالفتح وفَعْل الصحيح لا يجمع على أفعال... والصواب جمعه على خصوم » قلنا ان كلام الضياء لا ينطبق على ما ورد في تاج العروس: « وممَّا يُستدرك عليهِ الأخصام جمع خَصِم ككَتِف وأكتاف او جمع خَصْم كفَرْخ وافراخ او جمع خصيم كشهيد وأشهاد »

١٢ ومن كلام الضياء انهم يقولون: « مرَّت عليه كرور الزمان فيؤنثون لفظ الفعل على توهُّم انَّ الكرور جمع وانما هو مصدر كرَّ »

غير ان الذي نذكرهُ هو انهم يقولون مرَّت عليه كرور الازمان لا الزمان فهم يؤنثون لفظ الفعل مراعاةً للمضاف اليه كأنَّ المضاف غير مذكور . وهذا منطبق على قواعد النحو التي يقتضاها يكتسب المضاف من المضاف اليه تأنيثاً

١٣ وخطَّأت مجلة الضياء لسان الدين بن الخطيب في ما قالهُ عن الغارة على جيَّان وهو « فقلنا ثانيةً غربها وجدَّدنا كربهـا واستوعبنا حرقها وخربها » فقالت انَّا يُقال أخرب المكان او خرَّبهُ بالتثقيل ولا يُقال خرَبهُ بالمجرد

والحال انَّ الفيروزابادي يقول في قاموسهِ ما نصُّهُ: « خرِب الدار خرَّبها كأخربها » أفنفند قول القاموس ؟

هذا ما خطر لنا اثباتهُ من الملاحظات الخصوصيَّة على مجلة الضياء . وقد بقيت لنا ملاحظة عموميَّة نختم بها الكلام

من الثابت انَّ الذين جمعوا كتب اللغة قد فاتهم كثير من الفاظها بل كثير من معاني الالفاظ التي جمعوها فهل يستطيع المتأخر ان يخطئ مشاهير الشعراء المبرّزين والمجيدين من المؤلفين القدماء اذا رأى في كلامهم الفاظاً لا وجود لها في كتب اللغة او مستعملة بخلاف ما هو مدوَّن في تلك الكتب لاسيما وانَّ كثيرًا من الالفاظ الغريبة الواردة في كتب اللغة لا تستند الَّا الى بيت واحد من الشعر القديم

لعمر الحق اننا على قدر ضعف نظرنا نظنُّ تخطئتهم غير جائزة للمتأخر بل غاية ما يجب ان تضمَّ ما ورد من استعمالاتهم الى كتب اللغة حتى لا يبقى فيها نقص من هذا القبيل

فاذا كان ابن هانئ المشهور يستعمل « خفر الذمَّـة » متعديةً بنفسها خلافاً لما ذكرهُ جامعو اللغـة واذا كان عدي بن زيد يستعمل رئى بمعنى أوثق وهو من اهل الجاهليَّة الذين عنهم أُخذت اللسان فايُّ حرج علينا اذا سلكنا مسلكهم وجعلناهُ حجَّةً نحتجُّ بها عند من يخطّئنا . والسلام

(المشرق) وقد ارسل لنا احد قرَّاء المشرق والضيـاء في بغداد سؤالين يلقيهما على مجلة الضياء فالحقناها بالمقالة السابقة :

١ً جاء في الضياء (١ : ٤٠٠) ما نصُّهُ: « ومن عاقتهم في النقل ما أُولع به اكثرهم من

استمال لفظة هاتهِ في مكان هذه ذهاباً الى انّها افصح منها وما هي بالفُصحى ولا الفصيحة . . الخ » وقد قرأنا في تاج العروس ما يأتي: ته للمؤنث (اي اسم اشارة يُشار بهِ الى المؤنث) اه. فاذا ادخلنا عليها هاء التنبيه « فالظاهر » انها تصير هاته . وعليهِ فتكون الفصيحة إلَّمْ تكن الفُصحى . فما قول الضياء في ذلك ؟

٢ وجاء في الصفحة ٤٥٠ لا يقال: « هلَّ شهر يناير مثلًا وجاء في غُرَّة ابريل » وقد قرأنا في الكلّيات: « غُرَّة كلّ شيءٍ أوَّلهُ » افلا يدخل في حكم هذا الكل الشهر ايضاً . ثمَّ ان معنى الشهر الاصليّ (اي في اللغة الكلدانية السريانيَّة) القمر واذا جاز ان يسمَّى يناير شهراً افلا يجوز ان يُقرَن بلفظة توافق القمر او الشهر من باب مراعاة النظير او من باب التوسع ؟

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامراء برامون

وهم من الطبقة الثانية ومن المعاصرين لناصر الدين الحسين. امّا الذين عاشوا بعد زمانهِ فنؤخرهم ونذكرهم في موضعهم

ذكر الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن علي

كان اميراً حسن السيرة مبجَّلًا من الناس مشكوراً عندهم محبوباً اليهم ذو كرم وحشمة. جهات اقطاعه بامريّة عشرة (١ : نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدلياً ونصف شملان ونصف عين درافيل وثُلث بتاتر ونصف سرحمّور وثلث عيناب وثلاث قطع ارض في العمروسيَّة وثلث عميه وثلث حصَّة الملك في خلدا ومن الفريديس فدان. وعمَّر [لهُ] ناصر الدين الحسين القبو الذي في الداش الى جهة الشرق وعمَّر ايضاً المجلس الجنوبيّ والاسطبل فرفعهُ سيف الدين. وعمَّر عليهِ الطبقة التي فوقهُ. وكانت امّ سيف الدين مفرج زين الدار ابنة سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمّد وهي اخت ناصر الدين الحسين. وتزوَّج سيف الدين ياقوتة ابنة ناصر الدين الحسين في السابع عشر من ربيع الأوَّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩م). ونقلتُ عن خطّ ناصر الدين الحسين (٢ 83): « انّ سيف الدين توجَّه الى دمشق في جهاز ولدهِ شمس

---

١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٢٣

الدين محمّد أكبر اولاده فمرض بها اربعين يومًا وطلب الحجي فتوجه اليه اخوهُ عماد الدين موسى وخالهُ عزّ الدين حسن ابن سعد الدين وأحضروهُ في محفّة الى المنيتة وحُمل على أكتاف الرجال الى عرامون واقام بها مريضًا يتملّل ويرجوهُ اهلهُ الى ان اشتدَّ عليه المرض وتوفي الى رحمة الله في نهار الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٨ م) وكان عزاؤهُ عظيمًا لدى اهله ودُفن عند جدّه زين الدين. وهكذا جرى لعمّه ناهض الدين بحتر ابن زين الدين كان امير طبلخاناة فتوجّه الى دمشق آملًا انهُ يعود ويسل عرسهُ (١ فتوفّاهُ الله بدمشق». انتهى ما نقلناه من خطّ ناصر الدين الحسين

اسماء اولاد سيف الدين: شمس الدين محمّد وجمال الدين احمد ويُعرف بالأعسر وناهض الدين عليّ وصلاح الدين خليل

وقد ذكر محمّد التزّي في مقامة الامير مفرج واولادهُ الاربعة كما سيأتي

ذكر اخيه الامير عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف بن صالح بن علي

كان رجلًا ديّنًا خيّرًا محمود السيرة مشهورًا بالجودة والديانة. وكانت امهُ زين الدار (84) المذكورة في ترجمة اخيه قبلهُ. وكان خالهُ كثير المحبّة لهُ والاعتناء بامره فزوَّجهُ بنتهُ لؤلؤة في رابع عشر جمادى سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧م) وتوفيت في الخامس والعشرين ذي الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م). وكان لها اخت صغيرة في المهد فكان عند عماد الدين موسى من حفظ المودّة لخاله ناصر الدين انهُ ترك الزواج ووقف ينتظر الصغيرة حتى كبرت فتزوّجها وكان اسمها صادقة وتزوّجها في ثامن شهر ربيع الاول سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٦ م). وكانت وفاتهُ ضحوة نهار الثلاثاء في الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وستين وسبعمائة (١٣٦٧ م). اولادهُ نجم الدين محمّد وبدر الدين حسن

ذكر ابن عمّهما الامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين عليّ بن صالح بن علي

عزّ الدين كان حقُّهُ ان يتقدّم على عماد الدين موسى ولكن قدّمنا هذا ليكون تابعًا لذكر اخيه سيف الدين مفرج ولا نفرق بينهما. وكان عزّ الدين حسين رجلًا وافر

١) وفي حاشية للمؤلف: «لعلَّهُ كان عرس ولده شمس الدين كرامة المقدَّم ذكرهُ لانهُ ما كان تزوَّج»

العقل كريمًا مشكورًا بين الناس محبوبًا عند الجميع. جهات اقطاعهِ بامريّة عشرة: نصف عيتات ونصف دفون ونصف شملال ونصف مجدليا وثلث عين عنوب ونصف سرحمُور ونصف عين درافيل وثلث بتاتر وثلث عيناب وثلاث قطع ارض بالعمروسيّة وثُلث حصّة الملك بجلدا وثلث كفرعمّيه ومن القريديس من صيداء فدّان. وهذا الاقطاع قسمة اقطاع سيف الدين مفرج (٢ 84) وتزوّج عزّ الدين غالية بنت ناصر الدين الحسين في سابع عشر من محرّم سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٨ م) ووفاته رحمهُ الله تعالى نهار الاحد خامس ذي القعدة من سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٩). ودُفن نهار الاثنين في تربتهِ بعرامون. اسماء اولادهِ علاء الدين (١ وشرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف

وقد ذكر محمّد الغزّي في مقامتهِ الامراء بعرامون الذين كانوا في أيامهِ وهما سيف الدين مفرج وعزّ الدين حسين ذكرهما في جملة اقارب ناصر الدين الحسين عند ما فرغ من ذكر ناصر الدين فقال: « امّا بنو عمّهِ الكاشفو كربهِ وغمهِ. ليوث الحرب. وغيوث الكرب. سادات الامراء وامراء السادات. الذين عُرفوا بالهيبة والهبات. الجناب السيفي مفرج الكرب كاسمهِ بجدّ لقبهِ (٢. المأثور بشمس جمالهِ. الناهض بصلاح حسبهِ ونسبهِ. والجناب العزّيُّ (٣ اعزّ الله باحسان عُلاهُ حُسن معاليهِ. وادام لشرفهِ سعادة ايّامهِ ولياليهِ. فهما شمسهُ وصبحهُ. وسيفهُ ورمحهُ. تناولا من المجد رايتهُ. وبلغا من الشرف غايتهُ:

لله درُّهما ودرُّ بنيهما فهما اللذان لعُرب طيّ جمّلا
ليثا ردًى غيثا ندًى نجما هدًى بدرا دجًى شمسا ضحًى أُفقا عُلى

والجناب العلميّ (٤ قديم هجرة الجماعة. الموسوم بكرم النفس والشجاعة. أُفق (٢ 85) النجوم الزاهرة. وابو الاشبال الكاسبة الكاسرة. اميرٌ لهُ من سيفهِ عزٌّ رفيعٌ. ومن بيانهِ ركنٌ منيعٌ (٥

---

١) كذا في الاصل دون ذكر اسم علاء الدين. وامّا ابن سباط فانّهُ ذكر لقبهُ بدلًا من علاء الدين « ناهض الدين » ٢) في هذا اشارة الى لقب الامير مفرج بسيف الدين ٣) يريد عزّ الدين واولادهُ ٤) اعني علم الدين الرمطوني

٥) جاء في الهامش: « يشير الى اولاد علم الدين الاربعة: سيف الدين غلّاب وعزّ الدين جواد وبهاء الدين داوُد وركن الدين

علم لهُ عملٌ هلال صلاحهِ هادٍ مؤملهُ لهُ الآمالُ (١
اسدٌ لهُ الاولادُ أُسدٌ ما لها الّا الصوارمُ والرماحُ دُمالُ

ومن المقامة المذكورة ايضًا في مكان بعد هذا:

ان تخشَ بأسًا او ترجُ بذلَ ندًى مضاعف المنّ غير ممنونِ
فلذْ بارض جنابها حرمٌ ما بين اعيبه وعرامون

السفر العَجَب الى بلاد الذهب

للاب ايل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث

في البائع الجوّال

وها نحن نفيدك أيها القارئ اللبيب علماً عن بعض اخبار بيترس لاضف فنقول:
في ذات يوم بينما كان احد الباعة المتجوّلين حاملاً كيساً من البضاعة على ظهرهِ ويده جرس صغير يدقُّهُ المرَّة بعد المرَّة اذ وقف عند باب بيت في البرّيّة الكائنة بظاهر مدينة شيكاغو وحطَّ كيسهُ على السلّم ولمّا شاهد فيهِ نساء يشتغلن بامور المنزل اخذ يُقلّب قطعة من القماش زاهية اللون تارةً يطويها وتارةً ينشرها فما لبثت النساء ان ظرنهُ فجئنَ اليهِ وابتدأ الحديث بين الفريقين. امّا البائع فلقي يتكلّم معهنَّ ويخبرهنَّ كلّ ما يدور في دماغهِ ممّا يتخيّل انّهُ مروّج لبضاعتهِ. ثم انهُ فكَّ الكيس ونشر ما فيهِ من الاقمشة والمطرّزات وانواع القُدَد (الشرائط) الحريريّة فكانت واحدة تتناول قطعة وتنظر فيها وتشدّها لتختبر متانتها وهذه تأخذ طرحةً (فيشو) وهذه تنّورة . . .

وكان البائع اذا سُئل عن الثمن يأبى ان يصرّح بهِ قائلاً فقط انهُ يبيع كلَّ ما يحملهُ بنفس الثمن الذي اشتراهُ بهِ وادّعى انَّ اللصوص سرقوا حانوتهُ فصار مضطرًّا لبيع ما بقي ايفاء لما عليهِ من الديون. امّا النساء فصدّقنَ قولهُ واخذن يتسابقنَ الى الشراء حاسباتٍ انَّ الفرصة لا تُصاب في كلّ وقت وهكذا ابتعنَ كل ما كان الرجل يحملهُ من البضائع فذهب مجبورًا مسرورًا بما قبض من الدراهم الرنّانة قائلاً: «ان الانسان يسوغ لهُ ان يحصّل معاشهُ باي طريقة كانت». وقد اصاب البائع المذكور مثل

(١) هذان البيتان حروفهما غير منقوطة

هذا التوفيق في كثير من الاماكن التي كان يثني عنها رابحًا غانمًا

فلمَّا اشتمَّ رائحة الثرَّاء كره حمل الكيس على ظهره والبيع في القرى فاخذ يذهب الى المدن بصفة مفوَّض من قِبَل بعض المحلاَّت الكبيرة التجاريَّة لترويج سلعها عند ارباب المخازن فاصاب من ذلك ربحًا غير يسير. ثم انهُ ودَّ الانخراط في سلك المضاربين على الحبوب وترك التنقُّل والاسفار واستأجر محلاً كبيرًا في اسواق شيكاغو وعلَّق عليهِ اسمهُ منقوشًا على قطعة من النحاس: «بيترس لاضف تاجر حبوب»

وفي هذا المقام لا بدَّ من ذكر شيء عن اهميَّة شيكاغو وعظمة تجارتها فنقول: ان مدينة شيكاغو هي اعظم سوق للحبوب في اميركة الشماليَّة بل في العالم كلهِ. كيف لا ومستودعاتها تجمع كل الغلال التي تصدر من الشمال الغربي من اميركة. وبورصة الحبوب فيها من اعظم بورصات الدنيا وفي كلّ يوم يربح فيها المضاربون ملايين ويخسرون ملايين. امَّا انقلابات الاسعار في بورصتها فتحدث فجأةً ولذلك كانت اشبه ببحر عجَّاج لا تأمن سفينةُ المضارب من الاصطدام بكثير من الصخور وقد دلَّت التجارب على ان صغار المضاربين يفقدون فيها كل اموالهم لما يحدث بغتةً من ارتفاع وهبوط في الاثمان. ولا يخفى انَّ الحبوب هي اخصّ قوت للانسان واعتدال اسعارها هي شغلة الشاغل في كلّ زمان ومكان. فمن اجل هذا كثيرًا ما تخدع التغييرات الفجائيَّة حسابات اعظم ذوي الخبرة

وكان بيترس لاضف قد برع في طرق المضاربة ودرس تقلُّباتها المختلفة واطَّلع على اهميَّة وسائل النقل مثل القطارات الحديديَّة وسفن البخار ولمَّا عرف ان غلال الخريف في الولايات المتحدة كانت تبشر بالاقبال وأنَّها في اوربَّة متوسطة الخصب وفي غيرها ماحلة فحسب من ثم انهُ اذا هبطت اثمانها في الولايات المتحدة تغلو بخلاف ذلك أسعارها في اوربة فاستقرَّ رأيهُ حينئذٍ على ان يجمع منها كل ما يستطيع جمعهُ ففي شهر ايار عام ١٨٩٥ ابتدأ يشتري الحبوب كيَّةً بعد كيَّة. وكانت مشترياتهُ تزيد اهميَّةً من يوم الى يوم. امَّا سائر التجار فكانوا يرقبون حركاته وسكناته فبعضهم يتعجَّب من إقدامهِ وعدم تقديره حسابًا للخسارة وبعضهم يعدّهُ جاهلاً وغير عارف بما صنع وغيرهم يقولون غير ذلك من الاقوال

ولكن مسير الاحوال قد صدَّق ظنون لاضف لأنَّ اثمان الحبوب ارتفعت وكذلك

غلت اسعار الطحين وقدّرت الارباح التي تعود على لاضف من تجارته تلك ببلغ ١٥٠ مليوناً من الفرنكات. وكان وقتئذٍ حاشداً من الحنطة ٤٢ مليون كيل بثمن قدره ١٧٥ مليون فرنك. وأرادت جريدة نيويرك هرلد ان تصف ما لديهِ من الحبوب فقالت في احد اعدادها سنة ١٨٩٧: انهُ لا يسعها قطار يبلغ طولهُ ١٥٠ ميلاً وان نقلها بحراً يستلزم ١٠٠ سفينة محمول كل واحدة منها ٣ آلاف طن

وكان في تلك الأيام يشحن السفينة بعد السفينة ويرسلها الى ليفر بول. ولكن ما طالت المدَّة حتى انخفضت الاسعار بواسطة تاجر آخر من شيكاغو اسمهُ فيليب ارمور لانهُ كان مع ضرائه يبيع الحبوب جهاراً بكلّ جراءة وهو مستند على غلّة الخريف

وعليهِ فان كلّ ذاك الغنى الذي جمعهُ لاضف بالمضاربة كان مزمعاً ان يصير الى الخراب التام. وقد اخبرنا في الفصل السابق كيف ان العدل الالهي ظهر لهُ بغتة في قاعة لعب القمار بواسطة بروسبر اولري (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

شيعة المعتزلة

لجناب المستشرق الاديب يوسي بندلي صليبا

من طالع كتاب الملل والنحل للعلاَّمة الشهرستاني علم ما كان لشيعة المعتزلة من النفوذ والشهرة في القرون الغابرة. وقد احبَّ المستشرق الروسي الاديب بندلي صليبا ان يبحث عن تاريخ هذه النحلة ويعرّف مذهب اصحابها مستنداً الى اثبت ما كتبهُ عنها مشاهير ادباء العرب ومؤرخيهم. وهذا التأليف المفيد طبع في قازان باللغة الروسيَّة وعدد صفحاتهِ ٢٧١

كتاب الليتورجيات الالهيَّة

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

بنفقة وعناية الشاب الاديب ميخائيل افندي ابرهيم رحمة

طُبع سابقاً كتاب الليتورجيات بالعربيَّة واليونانيَّة في رومية العظمى ثم في عاصمة النمسا. بيد انَّ نُسخ الطبعتين اصبحت عزيزة الوجود مع انَّ الكتاب لا يُستغنى عنهُ في الكنائس اليونانيَّة الكاثوليكيَّة. فهذا ما حمل الشاب النشيط ميخائيل افندي رحمة على إعادة طبعهِ بالعربيَّة مع ذكر ما يُتلى في القداس باليونانيَّة. وقد زاد على الليتورجيات

الثلاث المروفة خدمتيّ الغروب والسحريّة وختام صلوات الجمعة والاعياد السيديّة وخدمة البروجيازمانات وشرحها عن طبعة قيِّنة والحقها بنبذة في اصل الليتورجيات

والكتاب مطبوع بحرف مُشرق وورق صفيق وحجم لطيف ومصدَّر برسم غبطة السيد الجليل بطرس الرابع الجريجيري بطريرك طائفة الروم الكاثوليك الكلي الطوبى

ومن ملاحظاتنا انهُ وقع في طبع الصلوات اليونانيَّة اغلاط منها (ص ٥٤) τοῦ τό ἐστι τὸ αἷμά μου والصواب τοῦτο و (ص ٦٠ و١١٣) μνήσθιτι والصواب μνήσθητι و (ص ٢٠٧) ἀληθηνὸς والصواب ἀληθινὸς و (ص ٢٠٨) Κωνσταντινουπόλεως والصواب Κωνσταντινοπόλεως الخ

وكنّا وددنا لو أُفرد في آخر الكتاب جدولٌ للالفاظ اليونانيَّة المنقولة الى العربيَّة بلفظها كالافشين والاودية والسنابتي الخ فتُشرح ليفهم الجمهور معناها المبهم ل. ش

شَذرَاتٌ

انتقاد الدليل

ما كنّا لنظنّ انّ انتقاد المشرق على كتاب «الدليل الى مرادف العامّي والدخيل» من شأنهِ ان يثير الاضغان ويحرّك كامن الاهواء. والحقُّ يقال انّ كلّ من طالع نبذة حضرة الاب ه. لامنس تعجّب من مبالغتهِ في مدح هذا الكتاب ولطف عبارتهِ في ابداء استدراكاتهِ على صاحبهِ ظنًّا منهُ انّهُ يكون «غريق افضال من تكرَّم عليهِ بشيء من الملاحظات» (ص ٣٤١). فما كان من امر المؤلف الاديب أرشدهُ الله الّا ان قام وقعد وارغى وازبد وزعم في مقالة مسهبة حرّرها في الاحوال انّ المنتقد كتب ما كتب عداء وتعصُّبًا. فمعاذ الله ان ننقاد في كتاباتنا الى الهوى مع علمنا بقول القائل انّ الهوى آفة الالباب وهو يعمي ويصمّ. فان نبّهنا جنابُ الكاتب الى غلطنا بادرنا كما يقول «الى الانتباه من سنتنا واستيقظنا من سباتنا» لئلّا يصحّ فينا قول عليّ بن ابي طالب: إعجاب المرء بنفسهِ عنوان ضعف عقلهِ

امّا دحض جناب المؤلف «لاوهامنا واحلامنا» فاننا لا نراهُ فيهِ مصيباً بل نظنّ بالاحرى ان كلّ من يطّلع على كتابهِ يأخذهُ العجب من تقصيرنا في تخطئتهِ. وقد اعدنا النظر في هذا التأليف فلم نجد صفحة واحدة تخلو من غلطة او اغلاط كثيرة. ولئلّا ينسبنا احد

الى الغلوّ في هذا الحكم ننتقد الصفحات الاولى فقط وليقس القارئ عليها في الباقي

(اباجور) قال المؤلف « معناها الحرفي: كناف او اطار مقعَّر من ورق او معدن .... الخ » فان كان هذا الشرح هو المعنى الحرفي فاذا ترك للوصف المنوي — ثمّ قال: «صورتها بالفرنسيَّة abât-Jour » . قلنا انَّ في كتابتها غلطتين . والصواب abat-jour . امَّا قولهُ انَّ « احسن كلمة تليق بها في العربي الفصيح المضلّع » فلا نسلّم به طالما لا يستند الكاتب الَّا الى قول بعض اصدقائهِ وان كان « العلامة اللغوي ا . افندي ح . »ولعلَّ كناف النور او حاجز الضوء آنس واقرب الى الفهم

(الأُبَّهَة) قلنا كيف يسوغ للمؤلف ان يقول انَّ فصيحها الأُبْهة ولا فرق بين اللفظتين الَّا انَّ العامَّة تصرَّفوا بالأولى بعض التصرُّف . وان جرى المؤلف على هذه الطريقة كان الأولى به ان يعدّد كلّ الفاظ القاموس لانَّ العامَّة يحرّفونها كلها

(المأتم) بعد إطالة الكلام في هذه المادَّة سلَّم المؤلف بانهُ يجوز استعمالها بمعنى المصيبة والمناحة . فما بالهُ اذن ادخلها في كتابهِ وليست هي من العامّي والدخيل

(الارضيَّة) ألم يجد المؤلف لهذه اللفظة الشريفة افصح من الاصيص ? أوَ لا ترضيهِ المِولة او القارورة ?

(الاركيلة) ويقول البعض نَرْكيلة تصحيف العامَّة لنارجيلة ليس الَّا . والنارجيلة دخيلة فاين اذن مرادفها وغاية الكاتب ان يبيّن مرادفاً للعامّي والدخيل ?

(الآرما) لنا في هذه المادَّة ملاحظات عديدة: ١ً ليس بصحيح انَّ اصلها بالفرنسيَّة armoiries والصواب armes التي تأتي بمعنى armoiries فيقال مثلاً les armes de France . ٢ً انَّ اشتقاق armoiries من armorier اي نقش الشعارَ لا من armoier . ٣ً يقول المؤلف « انَّ هذه اللفظة نظرًا لكثرة تناقلها على الالسنة اصبح من الامور الصعبة انتزاعها واستبدالها بلفظة عربيَّة » فما احرى هذا القول بكثير من الالفاظ التي يريد المؤلف استبدالها بالفاظ غريبة غير مأنوسة فصاحتها اغرب من اعجميَّتها . كما بيَّن لهُ الاب لامنس في ملاحظته الاولى . ٤ً انَّ لفظة الأَرْمة بمعنى الآرما من غرائب المكتشفات . اوَ ليست لفظة العَلَم او العلامة او الوسام أوفى بالمراد ان اراد كلمة عربيَّة . ٥ً انَّ العرب استعملوا في كتبهم من القرن الثاني عشر الى الخامس عشر لفظة « رنك » الفارسيَّة ومعناها اللون للدلالة على « الآرما » كما بيَّن

ذلك بشواهد عديدة الاستاذ روجرس (E. Rogers) في مقالة نفيسة بحث فيها عن الآرمة واصلها وشيوعها عند العرب قبل الفرنجة

(اصلهِ) زعم ان صواب قول العامة « اخذ المال من عين اصلهِ » محرَّف من قول الادباء « اخذهُ باصلهِ » ونحن نرى ان العامّة لم يحرّفوا شيئًا بل استعملوا كلمة « الاصل » لبعض معانيهم

(ازَّان) ليست عربيّتها كما قال المؤلف فنطاسًا لانَّ « فنطاسًا » دخيلة وهي لفظة يونانيَّة

(اسًا) خرج المؤلف عن موضوع كتابهِ بذكر هذه الكلمة العاميَّة في عداد الفاظهِ لأنهُ لم يبيّن لها « مرادفًا » بل ذكر تحريفها فقط. وقل مثل ذلك عن « اروح والتمَّ »

(اكسبرس) للمؤلف في ايضاح اصل هذه الكلمة غرائب كأنهُ لا يدري انَّ في تعيين اصل الالفاظ لا يُنظر الى اصلها الاوَّل بل الى اللغة القريبة التي أُخذ منها المعنى الخاصّ وعليهِ فانَّ اكسبرس بمعنى « القطار المجدّ (١ في سيرهِ » انكليزيَّة كما نصَّت عليهِ كلُّ كتب اللغة عند الفرنج وان كان اصلها البعيد من صفةٍ في اللغة اللاتينيَّة .

فنكتفي لضيق المكان بهذا النزر القليل ليعلم المؤلف انَّ حضرة الاب لامنس راعاهُ في انتقادهِ غاية المراعاة ولم يبخس قدرهُ ذرَّةً . والسلام

مسئلة رياضيَّة — عرضها على قرّاء المشرق حضرة الاب الخوري جبرائيل رزق مرهج: ثلاثة اسلاك معدنيَّة نحاسًا وذهبًا وحديدًا ضُمَّت الى بعضها على شكل زاوية وتره السلك الحديديّ فكان طولها جميعها على حرارة الصفر سنتيغراد ١٣٢ سنتيمترًا ثم وضعت على هذه الحالة في مانع مستمرّ الحرارة على درجة ١٠٠ سنتيغراد فزاد طولها جميعها ٠،١٩٣٦٠٢ سنتيمترًا ومن المعلوم ان تمدُّد النحاس النوعي طوليًّا لكل درجة سنتيغراد ٠،٠٠٠٠١٨٧٢ وتمدّد الذهب ٠،٠٠٠٠١٥١٤ وتمدّد الحديد ٠،٠٠٠٠١١٨٢ . فكم كان طول كل قطعة على حدة ؟

أسئلة وأجوبة

سألنا حضرة الاب الفاضل بهنام بدريَّة الموصلي: ١ً ما الفرق بين اللغة الاشوريَّة والبابليَّة . ٢ً هل توصَّل احد الى لفظها الاصليّ . ٣ً ما كانت اللغة الشائعة في اليهوديَّة

---

١) خطأ صاحب الدليل اثارهُ الله هذه العبارة وألحقها بلفظة (كذا) مع انَّ لها في كتب اللغة وجهًا ووردت مرارًا في الكتب القديمة . راجع نفح الطيب للمقريّ ونخب الملح (٣: ١٦)

على عهد المسيح . ٤ أكان يوجد حينئذٍ فرق بين السريانيَّة والعبرانيَّة . ٥ هل يجوز وضع صور الموتى في الكنائس على سبيل التذكُّر بيبناتهم . ٦ متى جرى استعمال اسم الكردينال في الكنيسة

١ و ٢ لغة اشور وبابل

ج نجيب على الاوَّل والثاني انَّ لغة اشور وبابل هي لغة قدماء الكلدان التي وُجدت آثارها بالحرف المساري منذ خمسين سنة في العراق. امَّا الفرق بينهما فمن قِبل اللهجة كالفرق بين لهجة المصري والسوري وكلاهما يتكلَّم بالعربيَّة وقد استدلَّ العلماء على هذا الاختلاف باشارات وجدوها وعلامات لحظوها في الكتابات الاشوريَّة لم يقفوا عليها في الخطوط البابليَّة . امَّا التلفُّظ باللغتين فقد توصَّل اليه العلماء على طريقة الحدس والتخمين بالمقابلة مع اللغات الساميَّة كالعربيَّة والسريانيَّة وذكر بعض الاعلام في اليونانيَّة والاشوريَّة معًا

٣ و ٤ اللغة الشائعة في اليهوديَّة على عهد السيد المسيح

ج اجمع جمهور العلماء الَّا افرادًا منهم انَّ اللغة الشائعة في اليهوديَّة على عهد المسيح هي اللغة الآرامية او السريانيَّة الَّا انَّ اهل فلسطين كانوا افسدوها بالفاظ عبرانيَّة وتراكيب اعجميَّة خاصَّة بهم فلذلك يدعوها العلماء باللغة السريانيَّة الفلسطينيَّة . وهي تختلف عن العبرانيَّة الفصيحة التي فيها أُنزلت اغلب اسفار الكتب المقدَّسة

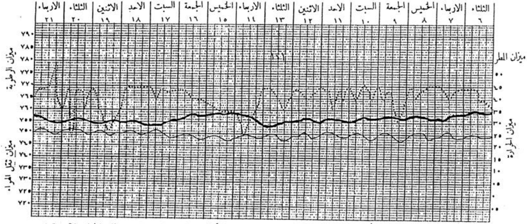
٥ وضع صور الموتى في الكنائس

ج لا يجوز عادةً ان تُعلَّق في الكنائس غير صور اولياء الله الابرار ليكرمهم الشعب ويتذكَّر اعمالهم الصالحة فيأتسي بها . الَّا انَّ الكنيسة تتسامح احيانًا في عرض غير صور القديسين على سبيل الزينة او التذكُّر بيبناتهم اللهمَّ اذا كانوا من المؤمنين الاتقياء .

٦ اصل اسم كردينال

ج يُعرف اسمُ الكردينال منذ اوائل النصرانيَّة في كنائس الغرب . لكنَّما كان يدلُّ على اساقفة اوكهنة او شمامسة لهم بين آل رتبتهم المقام الاوَّل في كنائس معلومة يتولَّون تدبيرها وكان هذا الاسم شائعًا في رومية وضواحيها . فلمَّا كان القرن الحادي عشر اتَّخذ البابا نيقولاوس الثاني حاشيةً من الاساقفة والكهنة والشمامسة المذكورين يخدمونهُ في رتبتهِ السامية ويساعدونهُ في تدبير كلّ شؤون الكنيسة بمشورتهم واعمالهم فتميَّز مذ ذاك الحين منصب الكرادلة عمَّن سواهم ومنحهم الباباوات امتيازات خاصَّة تزيد اعتبارهم في اعين الناس . واليهم وحدهم فوَّض انتخاب الاحبار الرومانيين ل . ش

قائمة للآثار الجويّة من ٦ الى ٢١ حزيران ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر المليمترات